جامعـــة الأزهـــر
كليـــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلميـــة

التَّمَاسُك النَّصِّيُّ فِي شِعْرِ الْحَاجِبِ الْمُصْحَفِيِّ
(ت ٣٧٢هـ)

إعداد
د/ أحمد بن عيضة الثقفي
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة الطائف

(العدد الثالث عشر)
(الإصدار الثاني١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)
(الجزء الثاني)

علمية- محكمة- نصف سنوية

التَّمَاسُك النَّصِّيُّ فِي شِعْرِ الْحَاجِبِ الْمُصْحَفِيِّ (ت ٣٧٢هـ)

أحمد بن عيضة الثقفي

قسم اللغة العربية ، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: ahmed eada333@gemail.com

مُلَخَّصُ البَحثِ :

وقفت هذه الدراسةُ الموسومةُ بـ التماسكِ النَّصي في شعرِ الحاجبِ المصحفي ت ٣٧٢هـ على توظيفِ مفاهيم الدَّرسِ اللساني الحديث المتمثلة في المستوى الشَّكلي (السَّبك) والمستوى المعنوي الدلالي (الحبك) ، وما يعكسهُ ذلك الخطابُ الشعريُّ في شعرِ الشّاعرِ ، وذلك بالوقوفِ على أدواتِ التَّماسكِ النَّصيِّ وآلياتِهِ ، ومدى توافرِها في شعرِهِ .

وخلصت الدراسةُ إلى أنَّ شعرَ الحاجبِ المصحفي يمتازُ بتماسكٍ نصيٍّ ، نتيجةً لتوافرِ أدواتِ التماسكِ التي أسهمت في تماسكِ نصوصِهِ مما كان له الأثرُ في انسيابيةِ النَّصِّ وإيصالِ الدلالةِ للمتلقي .

الكَلِماتُ المفتاحِيَّةُ: التَّماسُكُ النَّصيُّ، الْحَاجِب الْمُصْحَفِيّ ، الرَّبطُ ، الحَذفُ ، التَّكرارُ ، الإحالةُ

Textual Cohesion in Al-Hajib Al-Massahafi's Poetry (Died in 372H)

Ahmed bin Aida Al-Thaqafi
Department of Arabic Language, Taif University Kingdom of Saudi Arabia
Email: ahmed eada333@gemail.com

Abstract:
This study, entitled Textual Cohesion in Al-Hajib Al-Massahafi's Poetry, addresses utilizing the concepts of Modern Linguistic Lesson, represented by the structural level (Al-Sabk) and the semantic level (Al-Habk), in the poetic discourse of Al-Hajib Al-Massahafi's poetry. This also includes examining the tools of textual cohesion, its mechanisms and how they are engaged in his poetry. The study concludes that Al-Hajib Al-Massahafi's poetry is characterized by textual coherence and unity, as cohesion tools used by the poet contributed to the cohesion of his poetic texts, and had an impact on the flow of texts and delivery of meaning to the recipient.

Keywords: Textual Cohesion, Al-Hajib Al-Massahafi, Linking, Deleting, Repetition, Referencing

مقدمة :

إنّ للنصِّ الأدبيِّ واللغويِّ خصيصةً ليست لغيرِهما من النصوصِ الأكاديميَّةِ؛ فالمُعَوَّلُ عليهِ في صياغةِ النُّصوصِ الأدبيةِ وصناعتها المُقوماتُ الفنيةُ التي يتَّخذُ منها المبدعُ طريقًا موصلًا إلى التعبير عما في نفسِهِ بأسلوبٍ لغويٍّ خاصٍ في قالبٍ فنيٍّ يتّسمُ بالتماسُكِ والانسجامِ التّامِّ، بحيثُ تتعانقُ العباراتُ ذاتُ الدلالاتِ المختلفةِ وترتبطُ ارتباطًا مُحكمًا، مُعبِّرةً عن موضوعٍ واحدٍ أو عدَّةِ موضوعاتٍ يتّصلُ بعضُها ببعضٍ بعلاقةٍ لغويّةٍ وثيقةٍ جعلها المبدعٌ دالةً على حالتِهِ النّفسيّةِ، وأسلوبًا خاصًّا في التعاملِ مع اللغةِ يُميّزهُ عن غيرِهِ ، ولإتمامِ عمليّةِ التّناسُجِ والالتئامِ والالتحامِ بينَ أجزاءِ ذلك الموضوعِ أو الموضوعاتِ المختلفةِ الأبعادِ في الخطابِ الواحدِ، كان من المُحتَّمِ على المبدعِ مُراعاةُ الأواصرِ التي تؤسّسُ لربطِ المعاني وبعضِ أجزاءِ النصِّ الظاهرةِ والباطنةِ ببعضٍ من أجلِ رؤيةٍ متكاملةٍ تدلُّ على سبكِ المنشئ وبراعةِ حبكِهِ ؛ كي لا تتناثرَ أجزاؤهُ فيختل البناء، بما يَعكسُ ضعفَهُ ووهنَ نسجِهِ.

فَجاءَ الدَّرسُ اللِّسانيُّ الحديثُ بتلك المَفاهيمِ المُعبّرةِ عن قوّةِ شخصيَّةِ النصِّ الأدبيِّ –وظيفيًّا كانَ، أو إبداعيًّا من خلالِ وضعِ الضوابطِ الرئيسةِ لتماسكِ النصِّ واتّساقِهِ والتحامِهِ، وانسجامِهِ .

تبلورت جهودُ الدَّرسِ اللسانيِّ في ذلكَ الصَّدَدِ في صياغةِ مُستوَيينِ رَئِيسَيْن يَندرجُ تحتَ كلٍّ منهما عددٌ من الآلاتِ المُعتمدةِ بِوَصفِها ركائزَ أصيلة لِدَعمِ بناءِ نصٍّ مَا مِن النُّصوصِ، أحدُ هذين المُستوَيَينِ: خَاصٌّ بالقالبِ السَّطحيِّ الشَّكليِّ (اللغويِّ) لصياغةِ النصِّ، والآخَرُ: خاصٌّ بالجانبِ المفهوميِّ الدّلاليِّ الذي يُمثّلُ البنيةَ العميقةَ للنصِّ .

وليسَ يتحقّقُ في النَّصِّ ما يصبُو إليهِ فيهِ صاحبُهُ من عناصرِ التماسُكِ المُفضيةِ إلى اتّساقِ أجزائِهِ، وانسجامِ محتواهُ إلّا بتلك الأدواتِ اللغويّةِ المُعينةِ على تضامِّ أجزاءِ الكلامِ وتماسُكِها – شكليًّا ودلاليًّا – مُشكِّلةً نصًا متماسكًا

محبوكًا.

تلكَ الأدواتُ التي تُعدُّ الركائزَ الأساسيّةَ التي يقومُ بها أيٌّ من النصوصِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ، والتي مُعتمَدُ بنائِهِ الخِطابيِّ والنصيِّ عليها تعملُ على تحديدِ مضمونهِ، وفهمِ مراميهِ والغايةِ منهُ تنقسمُ إلى أدواتٍ شكليةٍ سطحيةٍ يتعيَّنُ بها الربطُ بينَ أجزاءِ النّصِّ اللُّغويةِ، ودلاليةٍ مفهوميةٍ تستهدفُ البنيةَ العميقةَ للنصِّ من خِلالِ عَدَدٍ من معاييرِ الدّرسِ اللسانيِّ المُسهِمَةِ في تماسُكِ النَّصِّ بِتحريرِ العِلاقاتِ الكامنةِ بينَ شَكْلِ النَّصِّ وبنيتِهِ اللُّغويةِ، ومفهومِهِ الذي انطوى عليهِ في تضاعيفِه .

وغني عن البيان أن توافر مثل هذه الظروف في الشعر الأندلسي تجعله مادةً ثريةً للدراسات اللغوية والأدبية والمناهج الحديثة القادرة على كشف تراكيبه اللغوية ، وعلاقاته النحوية والدلالية والمعجمية في ظل منهج يقوم على تحليل النص كبنيةٍ لغويةٍ متكاملة ؛ مما يُعطي البحث اللغوي قدرة على الإلمام بالنتائج كافة ، ومن ثم الوصول إلى أدقها، والوقوف على خصائصَ شعرِ الشاعرِ من حيث استعماله للغةِ التي يتسمُ بها عن غيرِهِ.

تقوم هذه الدراسة اللغوية على شعرِ لشاعرٍ فذٍ من شعراءِ الأندلس، كان لقصائده الوقع الطيب ، والأثر الشجي في نفوس معاصريه ، ومَن جاء مِن بعدهم؛ إنه الشاعر الأندلسي (الحاجب المُصْحَفيّ) ؛ حيثُ توافر في كل نصٍ وسائل تعمل على تماسك عباراته واتساق دلالاته.

ولا شك أن كلَّ العوامل السابقة سواء منها ما يتصل بعلم اللغة النصي ودوره البارز في تحليل النصوص الأدبية، أو ما يتصل بالشعر الأندلسي بصفة عامة ودوره في تشكيل الوعي الجمعي للمجتمع الأندلسي في تراكيبه ووسائل استخدامه اللغة، أو فيما يتصل بشاعر بقامة المصحفي و مكانته ، لا شك أن كل ذلك كان دافعا قويًا ومهمًا لمثل هذه الدراسة. ومن ثم جاءت الدراسة بعنوان: **التَّمَاسُك النَّصِّيُّ فِي شِعْرِ الْحَاجِبِ الْمُصْحَفِيِّ ت ٣٧٢هـ .**

وتهدف الدراسة إلى :

١- دراسة التماسك النصي في شعر المصحفي من خلال الوقوف على الآلية التي تمت بين الجمل والتراكيب والتي اعتمدت على أدوات نحوية ومعجمية محددة .

٢- دراسة مستويات التماسك النَّصي ، التركيبي والدّلالي والمعجمي، وكشف دورها مجتمعة في صنع الترابط النصي عبر شعره.

٣- تسليط الضوء على الحلقات المفقودة في تحليل النص المدروس؛ مما يفتح الباب أمام الباحثين، للولوج لتلك الحلقات ومحاولة إعادتها لواجهة التحليل اللغوي للنصوص، بما يسهم في شمولية البحث ودقة النتائج.

حدود البحث ومادته:

١) تتخذ من مجموع شعر المصحفي مادةً ومصدرًا رئيسًا لها.

٢) تتخذ من مستويات التحليل النصي عند الشاعر موضوعًا لها، وتتمثل تلك المستويات في المستوى التركيبي، وما يشمله من الإحالة والحذف والاستبدال والربط، والمستوى المعجمي، وما يشمله من ظاهرتي : التكرار والمصاحبة المعجمية، والمستوى الدلالي، وما يشمله من العلاقات الدلالية، مثل الشرط ، والإجمال ، والتفصيل.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

دفعني إلى هذه الدراسةِ هو الرغبةُ في دراسةٍ متعلقةٍ بلسانياتِ النَّصِ والكشف عن السماتِ النصية من خلال بحث وسائل الرَّبط ، وكيفية عملها في الكشفِ عن جوانبَ فنيةٍ جديدةٍ في شعر الحاجب المصحفي ، وكيف استطاع من خلالها التعبير عن معانيه .

الوصول إلى رؤية شمولية، وموضوعية في التعامل مع النص الشعري؛ وما يتضمنه من إحالة ، وحذف ، واستبدال ، وربط .

ليس هناك دراسة نصية سابقة – فيما وقفت عليه من مصادر ومراجع –

اتخذت من شعر المصحفي مجالا للدراسة النصية؛ مما دفعني للبحث فيما وصلتُ من شعره .

أما الدراسات السابقة في شعر المصحفي ، فمنها: **الحاجب المُصحفي، حياته وآثاره الأدبية**، أ. د: حسين يوسف خريوش، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك ، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م، وقد استفدت من الدرس التاريخي لهذا الجانب في التعريف بالشاعر، وأهمية شعره.

والحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، تتمة واستدراك، تأليف: أ. عبد العزيز السَّاوري، مجلة دراسات أندلسية ، العدد٢٣، ٢٠٠٠م، وقد استفدت منها في جمع مادة الدراسة؛ علمًا بأنَّ تلك الدراستين لم تتناول التماسك النَّصي، ولا تفي بما تصبو إليه الدراسة الرَّاهنة.

خطة الدراسة :

اقتضى البحث أن يأتي في ثلاثة مباحثَ مسبوقة بتمهيد ومتلوة بخاتمة فيها أهم نتائج البحث، فكانت كالتالي:

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، والدراسات السابقة.

التمهيد: وتناول التعريف بالتماسك النَّصي ، وآلياته، ونبذة عن الشَّاعر

ويجيء **المبحث الأوَّل**: المستوى التركيبي، واشتمل على الإحالة ، والحذف، والاستبدال، والربط، أمّا **المبحث الثَّاني**: المستوى المعجمي، فيشملُ: المصاحبة المعجميَّة: التكرار، والترادف، والتلازم الذِّكري، وأخيرًا : المبحث الثالث، ويتضمن: الشرط ، وأجزاءه الإجمال ، والتفصيل، وفي الخاتمة تناولت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث:

أ) تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي منطلقًا إلى تناول شعر المصحفي، ودراسة مستوياته النَّصية؛ لإبراز الوسائل المستخدمة لتحقيق التماسك النصي فيه، والمنهج الوصفي معنيٌّ بتوصيف النص الأدبي وتصنيفه، ثم التحليل الموضوعي لهذه النصوص الأدبية من أجل الخروج بنتائج بحثية دقيقة، تحقق أهداف الدراسة وتطلعاتها.

ب) اعتمد أيضًا على المنهج الأسلوبي عند وصف ظاهرة التماسك النَّصي.

جـ) اتكأ على المنهج الفني التحليلي؛ حيث يظهر عند تحليل شعر المصحفي، وبيان مواطن التماسك النصي.

د) المنهج التاريخي؛ حيثُ اعتمد البحث عليه في تأصيل التماسك النصي عند النقاد القدامى.

أولا: التمهيد

مفهوم التماسك اللغوي :

حظي التماسك النصي باهتمام بالغ من قِبل علماء علم لغة النص واللسانيات إذ اعتمدوا عليه في تحليل النص ، وجعلوه عنصرا مهمًا من العناصر التي تُسهم في إضفاء صفته النصيّة من خلال خلق نسيجٍ من العلائق والآليات التي تجمع أجزاء النص ؛ ليصبح نصًا متكاملا لا يتجزأ.

دار مفهوم التماسك في اللغة نقيضا للتفكك ، ودالا على الترابط والشِّدة ، والصلابة ، والتلاحم ، والحبس ، في لسان العرب : "من الأساقيّ الّتي تحبس الماء فلا ينضح، وأرضٌ مسيكةٌ لا تنشّف الماء؛ لصلابتها، وأرضٌ مساكٌ أيضًا"(١).

(١) لسان العرب، ابن منظور: مادة(م س ك): ٢٨٩/١٠.

وهنا أرى أنّ معنى التّماسك اللّغويّ يعني عدم التّفكك والشّدّة والصّلابة، وكلّما تماسكت أجزاء الشّيء كان أكثر صلابةً.

جاء في معجم مقاييس اللغة " الميم ، والسين ، والكاف " أصل واحد صحيح يدل على حبس الشيء أو تحبيسه " [١] ، ومثل ذلك ما أورده الزبيدي في تاج العروس إذ قال " ومسَك به وأمسك به ، وتماسَك وتَمسّك واستمسك ومسَّك تمسيكا ، كله بمعنى احتبس ، وإمساك الشيء : التعلق به وحفظه ... "[٢] ، وفي صفته _صلى الله عليه وسلم _ " بادنٌ متماسك " أراد أنه مع بدانته متماسك اللحم ليس مسترخيه ولا منفضجه ، أي أنه معتدل الخلق ،كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا " [٣] ، والتماسك ضد التفكك[٤] .هذا أغلب ما ورد من ملامح لمفهوم التماسك في المعجمات العربية القديمة وهي تشير إلى وجود وشائج قوية تربط الأشياء وتشدّ بعضها إلى بعض.

أما **التماسك** في مفهومه الاصطلاحي فيعني ((العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النّصّ الداخلية وبين النّصّ والبيئة المحيطة من ناحية أخرى))[٥] ، وهذا المعنى ما سنراه ماثلاً في بعض

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق / عبد السلام هارون ، دار الفكر ، طبعة ١٩٧٩م ، ج٥ ، ص ٣٢٠ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق / مصطفى حجازي ، التراث العربي ، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت ، ج ٢٧ ، ص ٣٣٣.

(٣) السابق : ٢٧/ ٣٣٨ .

(٤) الصحاح: الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ، مادة: "ف . ك. ك" ١٦٠٤/٤.

(٥) علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق– دراسة تطبيقية على السور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، ج١، ص٩٦.

الألفاظ والإشارات ، أو في تحليل علماء العربية لبعض النصوص اللغوية والأدبية.

- **الألفاظ الدالة على التماسك في الدراسات العربية القديمة .**

لقد شاعت بعض الألفاظ الدالّة على التماسك عند علماء العربية القدماء في أثناء معالجاتهم للنصوص الإبداعية ، إذ لم يكن مفهوم وحدة النّصّ وترابطه غائبا عن تفكيرهم ، لذا وردت إشارات في كتبهم يمكن أنْ نعدّها الينابيع الأولى التي تتحدث عن تلاحم النّصّ أو تماسكه ، بَيدَ أنّها جاءت موزّعة في رحاب علوم مختلفة ، وتحت عناوين وملفوظات قريبة منه تناثرت في كتبهم ، وقد أكسبوها عمقاً في تحليلاتهم ويمكن أن نقسمها على نوعين:

(أ) الألفاظ التي تقع ضمن مفهوم التماسك وتدور في فلكه وترقى إلى أن تكون مصطلحاً نصّيا يحمل أغلب سماته ، ومنها:

(١) الاتساق : الاتساق يعني " الانضمام والاستواء والاجتماع " فقد ورد لفظ "وسق" في كتاب العين وهو يحمل معاني منها:(الوسق: ضمك الشيء إلى الشيء بعضهما إلى بعض. والاتِّساق: الانضمام والاستواء كاتِّساقِ القمرِ إذا تمّ وامتلأ فاستوى. واستَوْسَقَتِ الإبل: اجتمعت وانضمت)[١].

واتساق النظم عند ثعلب "ت ٢٩١هـ" (ما طاب قريضه وسلم من السناد والإقواء والاكفاء والإجازة والإيطاء وغير ذلك من عيوب الشعر))[٢] ، أي أن يكون الشعر متوافقاً متجانساً ، والعيوب التي ذكرها تضعف ترابطه وتخلخل انسجامه.

---

(١) كتاب العين ، للفراهيدي (الخليل بن أحمد:ت-١٧٠هـ) ،تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال- بيروت(د- ت).: "و . س . ق" ١٩١/٥.

(٢) قواعد الشعر ، لثعلب(أحمد بن يحيى بن زيد: ت- ٢٩١هـ) ،تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥م، ص٦٣.

ويؤكد ابن طباطبا العلوي "ت ٣٢٢هـ" تلك المعاني ويقرن الشعر الجيد بانتظام أجزائه، وحسن اتساقها من البداية إلى النهاية ، يقول:((وأحسَنُ الشَّعْرِ مَا يَنتَظِمُ فِيهِ القَوْل انتظاماً يَتَّسِقُ بِهِ أوَّلُهُ مَعَ آخِرِهِ على مَا يُنَسّقُهُ، قائِلُهُ))(١) ، فالاتساق إذًا كل ما يعمل على خلق نسيج النص من خلال الروابط التي يتصف بها النص عن غيره .

(٢) الالتئام : يأتي الالتئام من اختيار المكان المناسب لموقع الكلمة في النّصّ، أو إبدال كلمة بغيرها لضرورة يقتضيها السياق النّصّي ، يقول أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ):(وتخيّر الألفاظ ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام ؛ وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته))[٢]

(٣) الانسجام: وهو من الألفاظ التي أصبحت من المصطلحات النّصّية ، أشار ابن أبي الإصبع المصري "ت- ٦٥٤هـ"- فيما سبق- فقال:((وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدرِ الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع ، وبعده عن التصنيع. وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود))[٣]

---

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم : ت- ٣٢٢هـ) شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٦- ٢٠٠٥م، ص١٣١.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، للعسكري (أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:ت-٣٩٥هـ) ، تحقيق: د. مفيد قميحة ، دار الكتب العالمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م، ص١٥٩.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران ، لابن أبي الإصبع العدواني المصري (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر:ت-٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق : د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، ١٩٩٥م، ص٤٢٩.

(٤) البناء: يظهر البناء مصطلحا ناجزاً في وعيِّ النقاد والبلاغيين العرب ، وهو يدلّ دلالة واضحة على ترابط النّصّ والتحامه ، يطلبه الشاعر في تكوينه الشعري ، إذ إنّ((الشعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي))(١)

(أ) **التماسك النصّي عند اللغويين**

يعدّ علم النّصّ أو لسانيّات النّصّ فرعًا جديدًا في علوم اللّسان، وعلاقته بالبحث الأدبيّ الّذي استثمر كثيرًا ممّا توصّلت إليه اللّسانيات على مستوى منهجيّة البحث أو على مستوى النّتائج، ويبدو ذلك جليًّا في كثيرٍ من المفاهيم والمصطلحات اللّسانيّة الّتي هيمنت على الدّرس الأدبيّ وصرنا نقرؤها في كتابات كثيرٍ من دارسي الأدب أمثال: "ياكبسون" و"بنفينيست" و"باختين" و"بارت".

(ب) **التماسك النصّي عند البلاغيين**

انطلق **البلاغيون** في تحليل النّص من نواح مختلفة لعلّ أهمها فكرة ترابط النّص أو انسجامه ، ومن العلماء القدماء الّذين أشاروا إلى التّماسك النّصّيّ في كتبهم **الجاحظ (ت٢٥٥هـ)**،إذ قال: ((وأجودُ الشّعر ما رأيته متلاحمَ الأجزاء، سهلَ المخارج، فتَعْلَمُ بذلك أنّه أُفرغ إفراغًا واحدًا، وسُبِك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان ... وكذلك حروف الكلام وأجزاءُ البيت من الشّعر، تراها ملْسًا، وليّنة المعاطف سهلةً ... حتّى كأنّ البيت بأسره كلمةٌ واحدةٌ، وحتّى كأنّ الكلمة بأسرها حرفٌ واحدٌ))(٢) ، فهو يصف تلاحم الشّعر وترابط أجزائه وسبك حروفه وكلماته، فالتّلاحم، والإفراغ ، والسّبك هي

(١) طبقات فحول الشعراء ، للجمحي (محمد بن سلّام بن عبيد الله:ت-٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر ، دار المدني – جدة(د-ت)، ج١، ص٥٦.

(٢) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، المعروف بالجاحظ(ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.، ج١ ، ص ٦٧.

مصطلحات استعملها العلماء النّصّيّون للتّعبير عن التّماسك النّصّيّ، كما أنّ الجاحظ أشار إلى وحدة النّصّ برؤيته إلى البيت الشّعري في تلاحم أجزائه؛ فيكون كلمةً واحدةً، والكلمة تكون حرفًا واحدًا.

وأمّا **أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)**؛ فقد كان له باعٌ طويلٌ في بيان ما كان من الشّعر مسبوكًا ومرصوفًا، فقد جاء عنه: ((فهذه الأبيات جيدة السّبك حسنة الرّصف))[١]، فهو يرى أنّ جودة الشّعر كانت في السّبك والرّصف، وهذا ما جاءت به اللّسانيّات الحديثة، ثمّ يبيّن معنى الرّصف، ومدى أهميّته في جماليّة النّصّ الشّعريّ؛ إذ يقول: ((وحسن الرّصف أنْ توضع الألفاظ في موضعها، وتُمكن في أماكنها، ولا يُستعمل فيها التّقديم والتّأخير والحذف والزّيادة إلاَّ حذفًا لا يفسد الكلام، ولا يعمي المعنى وتضمّ كلّ لفظةٍ منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها))[٢]، فحسن الرّصف عنده هو الجانب الشّكليّ للنّصّ، وهو ما يعرف الآن بـ(الاتّساق)، ثمّ يرسم لنا كيفيّة رصف الألفاظ بالوسائل الّتي تؤدّي إلى التّماسك النّصّيّ.

أما أسامة بن منقذ فكانت فكرة التماسك واضحةً في فكره وذلك في حديثه عن السبك والحبك حين قال[٣]:" خير الكلام المعبر المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض ...أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره " ، وهذا دليل الوعي بضرورة الترابط والتماسك بين أجزاء النص .

---

(١) كتاب الصّناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٦٩.

(٢) المصدر السّابق: ١٤ .

(٣) البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق / أحمد بدوي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ١٦٣ .

ومن العلماء القدماء الّذين اهتمّوا بتماسك النّصّ كثيرًا **عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ)**، الّذي أسّس نظريّةً في الكلام المتآلف سمّيت بـ(نظريّة النّظم)، تناول فيها كيفيّة أنْ يكون الكلام متناسقًا من حيث الشّكل والمضمون، فقد قال في الانسجام: ((ليس الغرض بنظم الكلم، أنْ توالت ألفاظها في النّطق، بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الّذي اقتضاه العقل))[١]، وهذه إشارةٌ واضحةٌ إلى ترابط النّصّ وتماسكه من النّاحية الدّلالية، وقد تناولها اللّسانيّون المحدثون تحت عنوان(الحبك).

ونظريّة النّظم الّتي جاء بها **الجرجانيّ** يمكن أنْ تكون أساسًا للدّراسات النّصّيّة؛ لأنّه تناول فيها كلّ ما يربط بين فقرات النّصّ[٢]، إذ نجده يقول في وصف الكلام المترابط : ((واعلم أنّ من الكلام ... سبيله في ضمّ بعضه إلى بعضٍ سبيل من عمد إلى لآلٍ فخرطها في سلكٍ لا يبغي أكثر من أنْ يمنعها التّفريق...))[٣]، فهي حلقة تربط بين مفهوم التماسك النصي قديما وحديثا كمباحث التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل وغيرها ، وبذلك تعد نظرية النظم أقرب إلى المفهوم الحديث لفكرة التماسك النصي .

(جـ) نشأة الدراسات النّصيّة ومراحل تطورها

إنّ الدراسات اللسانية الحديثة باتت تتوغل في أعماق النّص و محيطه ، وتأخذ في التحليل بعدا أرحب ، وذلك لتحقيق الرغبة في الانطلاق إلى فضاء

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ص ٤٩– ٥٠.

(٢) ينظر: التماسك النصي في سور "الحواميم" ، فائزة ثعبان منسي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة المستنصرية، ٢٠١٥م، ص٢٢.

(٣) دلائل الإعجاز، الجرجانيّ، ص ٩٦ .

أوسع للتركيب النّصيّ ، وتلبية للحاجة الملحّة إلى تجاوز النظرة الجزئية لتحليل الخطاب متخطية في ذلك المكونّات اللغوية إلى علوم أخرى تفاعلت معها تحت مفهوم العلوم المتداخلة الاختصاصات وفي منظومات معرفية مختلفة كاللسانيات النفسية والاجتماعية والفلسفية.. ومحاولة الوصول إلى منهج شامل(١).

والبحث في مصطلح "النّص" ينبع من خواص نحوية ودلالية واتصالية لا يُفصل بينها وهو في ذلك يرتبط بعلوم البلاغة والشعر والأسلوب ، ولا ينضوي تحت أي علم منها(٢)، وهو بهذا يمثل مرحلة من مراحل تطوّر التحليل الفني ، وإنّه– من وجهة نظر مؤرخي علم النّص– لم ينشأ في مكان بعينه، أو زمان بعينه ، أو تناولته مدرسة أو تبناه اتجاه محدد ، وتعود بداياته الأولى إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلاّ أنّ الدكتور سعيد بحيري يرى أنّ البداية الفعلية لهذا العلم واكتمال ملامحه كانت في بداية السبعينيات(٣) وهذا ما ذهب إليه كلٌ من "مارغوت هاينمان M.Heinemann" و"فولفغنغ هاينمان W.Hienemann" من أن أبحاث لسانيات النّص ظهرت في هذا التاريخ ، وأخذت مجالاً واسعاً في الدرس اللغوي(٤).

وقد نضجت دراسات فان دايك في سنة"١٩٧٧" في كتابه "النّص والسياق" ورأى أنّ النّص واسع المضمار وله مناح عديدة تتعدى اللغة إلى مجال متعدد

(١) انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي ، د. محيي الدين محسَّب ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م، ص١١–١٢.

(٢) علم لغة النص– المفاهيم والاتجاهات ، سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط٢، ١٤٣١– ٢٠١٠م، ص٩.

(٣) علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، ص١٧.

(٤) أسس لسانيات النص ، مارغوت هاينمان و فولفغنغ هاينمان ، ترجمة، د.موفق محمد جواد المصلح ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد ، ٢٠٠٦م، ص١٣

الاختصاصات ؛ لذا أشتهر فان دايك في دراسات علم النّص على الرغم من وجود عدد كبير من اللغويين المعاصرين له والذين بحثوا في الدرس النّصيّ أمثال:شتمبل Stempel وجليسون Gleason وهارفج Harweg وشميث Schmidt ودريسلر Dressler وبرينكر Brinker[١] . ثم توالت البحوث في هذا المضمار ومنها ما نشره "هاليداي Halliday" من دراسة حول "سياق المقام context of situation" وأكد أنَّ اللغة ظاهرة اجتماعية ، منتقدا لسابقيه في دراسة العلاقة بشكل جزئي معزول بخلاف منهجه الذي يتجه إلى دراسة العلامة بوصفها نظاماً للمعاني sign system وكان الأساس في دراسته للعلامة هو البعد الوظيفي متجاوزا نظم اللغة إلى مجالات التعبير عن المعنى في الفنون المختلفة كالموسيقى والرقص والنحت[٢].

وكان "دي بوجراند" قد أشار إلى تقسيم هذه المعايير سابقا جاعلا مما له صلة وثيقة بالنّص في معياري "السبك والحبك" ويمثل معيارا "رعاية الموقف والتناص" الجانب النفسي ، ولا يمكن لأحد هذه المعايير من النهوض من دون التفكير في العوامل الأربعة "اللغة والعقل والمجتمع والإجراء" ولهذا فالحاجة ملحة إلى السعي في تكامل العلوم[٣]، ويرى "دي بوجراند" أنّ هذه المعايير تتسم بالأهمية ؛ لأنّ طبيعة تكوين النّص تعتمد على ظروف الواقع وأهم من ذلك أن يكون النّص فعالا ومؤثرا ومناسبا ؛ فوظيفة علم النّص هي تأليف نوع من

(١) نحو النص– اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د.أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٣.

(٢) ينظر : نظرية النقد الأدبي الحديث ، د. يوسف نور عوض، دار الأمين– بيروت ، ط١ ، ١٤١٤– ١٩٩٤م، ص٨١

(٣) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة ، ط١، ١٤١٨– ١٩٩٨م، ص١٠٦.

التنظيم بين عناصر نحوية تقليدية وعناصر غير نحوية في اللغة تدخل في صياغة النّصوص ، إذ هي وحدات علامية اتصالية ذهنية غير لغوية أهملها مجال دراسة الجملة[١].

وبذل الدكتور **سعد مصلوح** جهدا كبيرا في ترجمة مصطلح cohesion إلى السبك ومصطلح coherence إلى الحبك ويعلل هذا الاختيار إلى كونهما شائعين في النقد العربي القديم ويمتلكان صفة الإفصاح والإبانة والتساوق ، أو إنهما قريبان من المفهوم المراد[٢]

أمَّا المعايير السّبعة الّتي ذكرها **(دي بوجراند)** فتأتي مجتمعةً في النّصّ لكلّ واحد منها معنًى خاصٌّ ، وتتمثل فيما يأتي:

السّبك(cohesion): وهو ((يترتّب على إجراءاتٍ تبدو بها العناصر السّطحيّة على صورة وقائع، يؤدّي السّابق منها إلى اللّاحق، بحيث يتحقّق لها التّرابط الرّصفيّ، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط. ووسائل التّضام تشتمل على هيأةٍ نحويّةٍ للمركبات والتّراكيب والجمل، وعلى أمورٍ، مثل التّكرار والألفاظ الكنائيّة، والأدوات، والإحالة المشتركة، والحذف والرّوابط))[٣]، وحدّه سعد مصلوح بأنّه: ((الكيفيّة الّتي يتمّ بها ربط العناصر اللّغويّة على مستوى البنية السّطحيّة – في النّصّ – بحيث يؤدّي السّابق منها إلى اللّاحق))[٤]، وهو ما يطلق عليه في الدّراسات النّصّيّة بـ(الاتّساق)، ويشمل عوامل الرّبط التركيبي.

---

(١) نظرية النقد الأدبي الحديث، ص١٠٣.

(٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية– آفاق جديدة ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، مجلس النشر العلمي – الكويت ، ٢٠٠٣م، ص٢٧.

(٣) نحو النص، أحمد عفيفي، ص ١٠٣.

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري – قراءة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول، مج ١٠، ع ٠٢/٠١ ، يوليو/ أغسطس، ١٩٩١م، ص١٥٤.

الالتحـام(coherence): وهو ((يتطلـّب مـن الإجـراءات مـا تتنشـط بـه عناصر المعرفة لإيجاد التّرابط المفهوميّ واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام علـى العناصـر المنطقيـّة، كالسّببيـّة والعمـوم والخصـوص، معلومـات عـن تنظيـم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، السّعي إلى التّماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانيّة، ويتدعّم الالتحام بتفاعل المعلومات الّتي يعرضها النّصّ مع المعرفة السّابقة بالعالم))[١]، وهذا المعيار يعني بالتّماسك المعنويّ لمكوّنات النّصّ، ويسمّى عند دارسي علم النّصّ بالحبك ، أو الانسجام.

القصد(intentionality): وهو ((يتضمّن موقف منشئ النّصّ، من كون صورة ما من صور اللّغة، قصد بها أنْ تكون نصًّا يتمتّع بالسّبك والالتحام، وأنّ مثل هذا النّصّ وسيلةٌ من وسائل متابعة خطّةٍ معيّنةٍ للوصول إلى غايةٍ بعينها. وهناك مدًى متغيّرٌ للتغاضي في مجال القصد، حيث يظلّ القصد قائمًا من النّاحية العمليـّة، حتـّى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسّبك والالتحام، ومع عدم تأدية التّخطيط إلى الغاية المرجّوة. وهذا التّغاضي عاملٌ من عوامل ضبط النّظام، يتوسّط بين المرتكزات اللّغويـّة في جملتها والمطالب السّائدة للموقف))[٢]، وهذا المعيار يختصّ بشخصيّة صاحب النّصّ، والهدف الّذي سيق من أجله ذلك النّصّ.

القبـولacceptability: وهو ((يتضمّن موقف مستقبل النّصّ، إزاء كون صورة ما من صور اللّغة، ينبغي لها أنْ تكون مقبولةً من حيث هي نصٌّ ذو

(١) النّصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند: ١٠٣، وينظر: أصول المعايير النّصّية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة – كلية الآداب، ٢٠١٢م، ص٥٢.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند: ١٠٣ – ١٠٤، وينظر: مدخل إلى علم لغة النص، دي بوجراند: ٣٠.

سبك والتحام. وللقبول أيضًا مدًى من التّغاضي في حالات تؤدّي فيها المواقف إلى ارتباكٍ، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المُستقبِل والمُنتِج))[١]، وهذا المعيار متعلقٌ بشخصيّة المتلقّي، ومدى تقبّل تماسك النّصّ لديه.

رعاية الموقف(situationality): وهي((تتضمّن العوامل الّتي تجعل النّصّ مرتبطًا بموقفٍ سائدٍ يمكن استرجاعه، ويأتي النّصّ في صورة عمل يمكن له أنْ يراقب الموقف وأن يغيّره، وقد لا توجد إلّا القليل من الوساطة في عناصر الموقف، كما في حالة الاتّصال بالمواجهة في شأن أمورٍ تخضع للإدراك المباشر، وربّما توجد وساطةٌ جوهريّةٌ كما في قراءة نصٍّ قديمٍ ذي طبيعةٍ أدبيّةٍ، يدور حول أمورٍ تنتمي إلى عالمٍ آخر، مثلًا: (جلجامش، أو الأوديسا). إنّ مدى رعاية الموقف يشير دائمًا إلى دور طرفي الاتّصال على الأقلّ، ولكنْ قد لا يدخل هذان الطّرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين))[٢]، وهذا المعيار يتعلّق بمدى مناسبة النّصّ للموقف الّذي ذكر فيه النّصّ.

التّناصّ(intertextuality): وهو((يتضمّن العلاقات بين نصٍّ ما ونصوصٍ أخرى مرتبطةٍ به، وقعت في حدود تجربةٍ سابقةٍ، سواء بوساطةٍ أم بغير وساطةٍ))[٣]، ويُعنى هذا المعيار بالكشف عن تبعيّة النّصّ لنصوصٍ سابقةٍ أخرى، أو تداخله معها.

الإعلاميّة(informativity): وهي ((العامل المؤثّر بالنّسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النّصّيّة، أو الوقائع في عالمٍ نصّيٍّ في مقابلة البدائل

(١) النّصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند : ١٠٤، وينظر: علم لغة النص، أحمد عفيفي: ٥٥- ٥٦.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند:١٠٤ .

(٣) السابق : ١٠٤.

الممكنـة. فالإعلاميـّة تكـون عاليـة الدّرجـة عنـد كثـرة البدائـل، وعنـد الاختيـار الفعلـيّ لبديـل مـن خـارج الاحتمـال. ومـع ذلك نجـد لكـلّ نـصٍّ إعلاميـّةً صغـرى علـى الأقلّ، تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))[١]،

(د) **آليات التماسك النّصيّ**

ينظر **هاليداي و رقيـة حسن** إلى النّص على أنّه مبني على التماسك ، وهذا التماسك يعد شرطا أساسياً في معرفة ما هو نص من غيره وعلى وفق تقنيات معينة تحكمها صفة الترابط[٢] ، ولا يقتصر التماسك على البعد الدلالي فقط وإنما ينظر إليه على أنه بنية أو حدث لغوي"شكلي" يتحقق بمستويات:

وتُقسّم عناصر التماسك الشكلي على نوعين:[٣]

(أ)عناصر التماسك الشكلي النحوي Cohesion Grammatical ، ويشمل:

١- الإحالة المتبادلة Co-Reference

٢- الاستبدال Substitution

٣-الحذف Ellipsis

٤- الربط Junction

(ب) عناصر التماسك الشكلي المعجمي Lexical Cohesion ويتحقق عبر ظاهرتين:

١- التكرار Repetition

---

(١) نفسه : ١٠٥، وينظر: نحو النّصّ، أحمد عفيفي: ٨٦.

(٢) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦م، ص١٢. ، وانظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية في السور المكية ، صبحي الفقي ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٩٥.

(٣)علم اللغة النّصيّ بين النظرية والتطبيق، ص٢٩٤.

٢- المصاحبة اللغوية " التضام" Collocation

ويختص التماسك المعنوي بالجانب الدلالي الذي يحافظ على استمرارية النّص، ضمن تأليف مفهومي يستمد وجوده من تماسك ظاهر النّص ويضم مجموعة من المعاني يتم الربط بينها بصورة ذهنية غير مباشرة فالنّص ((الخالي من المعنى..هو النّص الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف مثل تلك الاستمرارية فيه))[١] وتتم عملية ربط المعاني عبر فعاليات إدراكية تصاحب النّص يشترك فيها منتج النّص ومتلقيه عن طريق ربط تلك العلاقات بحيث تستدعي بعضها بعضا كحلقات وصل تربط ما بين المفاهيم[٢].

إنّ تحديد مجال الظواهر الدلالية في النّص((يقتضي إيجاد علاقات ونسب بين متواليات الجمل ومتواليات القضايا وتسلسل متواليات أفعال الكلام))[٣] والتعالق الذي يقصده "فان دايك" في عالم الخطاب هو"تعالق الوقائع" داخل السياق العام فـ ((الجمل مترابطة إذا كانت الوقائع التي تشير إليها قضاياها متعالقة في عوالم متعالقة))[٤] ، وأسباب التعالق كثيرة فقد تكون عن طريق الترتيب في الجمل المتتابعة سواء كان طبيعيا أم غير طبيعي أو قد تتبدل أنماط الترتيب تبعاً للحالة الشعورية وقصدية المتكلم[٥].

(١) مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسلر، د. إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، الهيأة المصرية للكتاب– مصر ، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٢٠.

(٢) البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة:٢٢٨.

(٣) النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق – بيروت ٢٠٠٠م، ص٢٩.

(٤) لسانيات النّص ، محمد خطابي، ص٣٢-٣٣.

(٥) النّص والسياق ، فان دايك، ص١٥٤– ١٥٥.

ونستنتج مما سبق أن للتماسك عناصر شكلية ودلالية تربط قضايا النّص وتسهم في تعالق الأحداث وتجانسها من خلال الربط بين أجزاء النّص الداخلية أو بين النّص والعالم الخارجي .

- **الحاجب المصحفي.**

هو أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر، الحاجب المعروف بالمصحفي (....– ٣٧٢ هـ / ؟ – ٩٨٢ م) ، وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد، أصله من بربر بلنسية، استوزره المستنصر الأموي إلى أن مات، وولي جزيرة ميورقة إلى أيام الناصر، ولما ولي الحكم استوزره، وضم إليه ولاية الشرطة، وآلت الخلافة إلى هشام المؤيد بن الحكم، فتقلد حجابته وتصرف في أمور الدولة، وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح (أم هشام المؤيد) فاعتقله وضيق عليه، فاستعطفه جعفر بمنظومه و منثوره، فلم يرق له، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لأبنائه ما يسدون به أرماقهم ، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله [١].

وهو الحاجب الوزير أبو الحسن بن جعفر بن عثمان المصحفي المتوفى سنة (٩٨٢/٣٧٢) كان له ديوان شعر جمع في حياته، قال ابن الأبّار: " وله شعرٌ مدوّن يدلُّ على تمكنه من الإجادة ، وتصرفه في أفانين البيان"[٢].

ومن الطبيعي أن يستهل حياته العلمية بالدراسات القرآنيَّة واللغويَّة والأدبيَّة؛ إذ وجد من والده – مؤدب الحكم المستنصر– خير أستاذٍ ومعلم لمعرفة العربية وتعلم قواعدها، والإلمام بطائفة من قضايا الفقه واللغة ؛ فنقدر أنه أتقنَ العلوم اللغويَّة والشرعيَّة والأدبيّة؛ فروى الأخبار والأدب والشعر[٣].

---

(١) معجم الشعراء العرب، ص٥٩٦.

(٢) الحلة السّيراء، ج١، ص٢٥٩.

(٣) ينظر: الحاجب المُصحفي، حياته وآثاره الأدبية، أ. د: حسين يوسف خريوش، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك ، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م، ص١٦

المبحث الأوَّل : المستوى التركيبي:

أولا : الحذفُ:

الحـذف لغـةً: ((حـذَفَ الشَّـيء يحذِفـه حَـذْفًا، قطعـه مـن طرفـه، والحجـام يحـذِفُ الشّـعر، مـن ذلـك، ... وأذنٌ حَـذفاءُ، كَأَنَّهـا حُـذِفَتْ، أَي: قُطِعَت...وحـذَفَ رأسه حَذفًا: ضربه فَقطع مِنهُ قِطعَةً))[١].

وأمّا فـي **الاصطلاح**؛ فهو ((إسقَاط كلمةٍ للاجتزاء عِنهَا بدلالـة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام))[٢]، والعرب لا يحذفون ما لا دلالة عليه ولا وصلة إليه، فهو((بابٌ دقيقُ المَسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحر، فإنّكَ ترى بـه تَركَ الذِّكر، أَفصَـحَ من الذّكرِ، والصّمتَ عن الإفادةِ، أَزيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنطِق، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبن))[٣]

فعمليّة البحث عن القرائن الّتي توصل المتلقّي إلى المحذوف في الجملة الواحدة، أو في الجمل المجاورة كفيلةٌ بأنْ تكون وسيلة ربطٍ بين مكوّنات النّصّ؛ لجعله نصًّا متماسكًا.

وقد عرّفه(هاليداي ورقيّة حسن) بأنّه"علاقةٌ داخل النّصّ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النّصّ السّابق، وهذا يعني أنّ الحذف عادةً علاقةٌ قبليّةٌ"[٤]

ويُعد الحذف من الظّواهر اللّغويّة الّتي امتازت بها اللّغة العربيّة، فدرسه علماء اللّغة وأفاضوا فيه، فهو يمكن أنْ يكون في المفردة كما يمكن أنْ يكون في

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة مادة (ح ذ ف) : ٢٩١/٣، وينظر: مختار الصّحاح، الرّازيّ: ٦٩.

(٢) أمالي بن الشجريّ، ابن الشجري(ت٥٤٢هـ): ٨٢/١.

(٣) دلائل الإعجاز، الجرجانيّ: ١٤٦.

(٤) لسانيّات النّصّ/ محمّد خطابيّ: ٢١.

الجمل، وقد يكون في الاسم كما يكون في الفعل، وفي الحرف أيضًا، قال ابن جنّيّ: ((وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيءٌ من ذلك إلّا عن دليلٍ عليه، وإلّا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته))[١]، وقد تعددت صور الحذف في شعر الحاجب المصحفي ، فحذفت الجملة والكلمة والحرف :

يقول من(بحر الطويل) [٢]:

ولَو أنَّنِي وُفِّقتُ للرُّشدِ لَم يكُن ** وَلَكِنَّ أَمـــــرَ اللهِ لَا بُدَّ غَالبُ

وقد اعتمدَ هذا النَّوعُ مِن التَّماسكِ النصيِّ بآلَتِهِ الاستبداليَّةِ علَى حذفِ الفاعل ، والتقدير " لم يكن الفرار " كان تامَّة ظهرَتْ بِقرِينَةِ المَساقِ في قولِ الشَّاعرِ المُصحفِيِّ: وَلَو أَنَّنِي وُفِّقْتُ لِلرُّشدِ لَمْ يَكُن...، و (يَكُن) هُنا تامَّةٌ بِمعنَى (يَقع)، والمعنَى علَى أنَّهُ الفراق وقعَ بسببِ كونِ النَّاظمِ لم يُوفِّق إلَى الرُّشدِ المانعِ لَهُ مِن اقترافِ ما دعاهُ إلَى الفرارِ مِن وجهِ مَن فرَّ منهُ .

فجاءَ الحذفُ هُنا مُقرًّا حقيقةَ ما نفاهُ من عدمِ توفيقِهِ إلَى الرشدِ المَانعِ لهُ مِن أن يفرَّ في عِبارةٍ مختصَرةٍ دالَّةٍ علَى المقصَدِ مِن غيرِ تطويلٍ ، ويحذف الموصوف كما في قوله (من الكامل)[٣] :

حســـب الكـــريم مذلـــةً ومهانـــةً ألّا يـــزال إلـــى لئـــيمٍ يطلـــبُ

حيث حذف الموصوف والتقدير " رجل أو شخص " ، كما حذف المفعول الثاني كما في قوله (من المتقارب) : [٤]

---

(٤) الخصائص، ابن جنّيّ: ٣٦٢/٢.

(٢) ينظر: الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، تتمة واستدراك، تأليف: أ.عبد العزيز الساوري، (الرباط المغرب)، مجلة دراسات أندلسية ، العدد٢٣، ٢٠٠٠م ، ص١٨.

(٣) الحاجب المصحفي حياته وآثاره ، خريوش ، ص ٤٤.

(٤) السابق ، ص ٤٨.

أقلنـــي أقالـــك مَـــن لـــم يـــزلْ يقيـــكَ ويصـــرفُ عنـــك الـــرَّدى

حيث حذف المفعول الثاني توسعا في المعنى ، والتقدير " أقلني عثرتي أو زلتي .."، وحذف معمول الفعل ومتعلقه كما في قوله (من البسيط) [١] :

بادرْ ، فإنّ نذيرَ الغيثِ قد نذرا مُجـددا لسـرورٍ كـان قـد دثـرا

حذف معمول الفعل ومتعلقه ، بادر بماذا ؟ بالوصال أو بالمرح واللهو ، فالمقام يحدد ذلك ، ويحذف المبتدأ كما في قوله (من المنسرح) [٢]:

صـفِ الثريّـا بمثلِهـا صـفةً فقلـتُ : قـرطٌ فُصـولُهُ العنبـرُ

والتقدير : هي قرطٌ ، والحذف جعلها قرطا في استدارتها وتدليها وما فيها علو ..، ويحذف الظرف كما في قوله (من الطويل) [٣]:

كتائـبُ أمثـال البحـارِ زواخـرا تفيضُ على طول البلاد وعرضِها

تزيـل الكـرى عمَّـن تـؤمُّ كأنّمـا هواجلُها بين الجفون وغمضِها

والتقدير " بين الجفون وبين غمضِها " ، ويُحذف الفعلُ والفاعلُ ؛ للاهتمام بالمفعولِ ، كما في قوله [٤]:

يحكـي لنـا لـونَ المُحبِّ بلونِـهِ وإذا تُنُسِّـم نكهـة المعشـوقِ

والتقدير " يحكي نكهةَ المعشوقِ " ، ويقول من (بحر المتقارب) [٥]:

وَمَـن تَـرَكَ الـدَّهرُ إحسـانَهُ يَـرُوحُ ويَغـدُو بِـلَا نَائِبَـاتِ

أجَلَّـكَ أن تَحتَـوِي بِـالظُّنُونِ وأَعـلَاكَ أن تَنتَهِـي بالصِّـفاتِ

---

(١) السابق ، ص ٤٩ .

(٢) السابق ، ص ٥٠.

(٣) السابق ، ص ٥٢. والهواجل جمع هوجل ، وهو الطريق .

(٤) السابق ، ص ٥٦

(٥) السابق، ص١٩.

ويحذف الجار والمجرور " إليك " كما في قوله (من الطويل)[١]:

لعمري لئن أهديتُ نفسي وما فأنتَ بها منِّي أحقُّ وأملكُ

والتقدير " أهديتُ نفسي إليك " .

يُحذف الحرف في اللّغة العربيّة لأغراض صرفيّةٍ ونحويّةٍ وبلاغيّةٍ، ومن الحروف التّي يتمّ حذفها هي حروف العطف، وفاء الجواب، وواو الحال، وقد، وما النّافية، وحروف النّداء، وحروف الجرّ[٢].

ثُمَّ لجَأَ إلَى طَريقَةٍ أُخرَى يُنحُو بها نَحوًا مِن توثيقِ الوشائجِ بينَ عناصرِ نصَّهِ ؛ ليقوِّي بهِ الرَّابطةَ بينَ كُلِّ جزءٍ منهُ تاليهِ وسابقِهِ، ذلِكَ أنَّهُ عَمَدَ إلَى الحذفِ والتَّقديرِ في بعضِ مُكوِّناتِ الخطابِ الشِّعريِّ؛ فتراكَ تقِفُ تحارُ جَوابًا عندَ تَلقِّيكَ قَولَهُ : وَمَن تَنجَلِي مُظلِمَاتُ الأُمُورِ...

وقَولَهُ : وَمَن تَرَكَ الدَّهْرُ إحسَانَهُ...

فَمِن حَيثُ لَم يَجُزْ أن تكون (مَن) شَرطيَّةً لانعدامِ دواعي التَّعليقِ بالشَّرطِ، ولِعدَمِ توافُّرِ جوابٍ ولا جزاءٍ لَهَا، لَزِمَ أن تكونَ موصولًا اسميًا مُنادًى حُذِفَ قبلَهُ حرفُ النِّداءِ، أدّى إلَى حذفِ حرفِ النِّداءِ قبلَهُ أسبابٌ لِكُلٍّ منهَا مدلولُهُ وَوَظِيفَتُهُ فِي تَماسُكِ النَّصِّ واتِّساقِهِ، وَأوَّلُ تِلكَ الوظائفِ الفرارُ مِن التِّكريرِ المُملِّ، والرَّبطُ بينَ المحذوفِ وما تعلَّقَ بِهِ فِي موضِعِهِ بِتقديرِ ما يتلاءمُ معَهُ، وتَحقِيقُ نِسبَةِ انجلاءِ مُظلماتِ الأمورِ، وتَرك الدَّهرِ إحسانَ المَمدوحِ بِلا نائباتٍ بِطَرِيقِ حذْفِ حَرفِ النِّداءِ .

ثُمَّ ضَمَّنَ البيتَ الأخيرَ [٣] :

أجَلَّكَ أن تَحتَوِي بِالظُّنُونِ وأَعلَاكَ أن تَنتَهِي بالصِّفاتِ

---

(١) السابق ، ص ٥٨.

(٢) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام: ٨٣٥-٨٤٥.

(٣) ينظر: الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٩.

حَذفًا فريدًا مُعمَلًا فِي حَرفِ الجرِّ الذي يُحذفُ قياسًا قبلَ(أن) النَّاصبةِ للمُضارِع، والتَّقديرُ فِي مثلِ هذا التَّركيبِ : "أجَلُّكَ عَن أن تَحتَوِيَ... " على مَعنَى أنَّ الزَّمنَ على امتدَادِ أيَّامِهِ، وتقلُّبِ أحداثِهِ، وانقلابِهِ بِأهلِهِ أعزَّكَ عَن تَشتَمِلَ نَفسُكَ عَلَى الظُّنُونِ وعَن أن تحتاطُكَ آفاتَهَا، كمَا أنَّهُ أعلاكَ عَلَى أن تُحدَّ صفاتُ كمالكَ؛ ما جعلَكَ الغايةَ في كلِّ صفةٍ منهَا .

وَقَالَ حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ من (بحر الطَّويلِ)[١] :

عَلَى أَيمَنِ الأَوقاتِ كَانَ ارتِحَالُكَا وَفِي أَيمَنِ السَّاعاتِ كَانَ احتِلالُكَا

ومِن النَّماذِجِ المُعبِّرةِ عن التَّماسُكِ النَّصيِّ شَديدَ التَّعبيرِ، والمُصوِّرَةِ لَهُ أحسنَ التَّصويرِ هذا الأُنموذجُ الذي يُشَكِّلُ عبقريَّةً شِعريةً احتضَنَهَا الأُسلُوبُ الشِّعريُّ الجَزلُ المَرصُوفُ فِي عِبارةٍ رقيقةٍ سهلَةٍ، وإنَّ ما لا يتَّسعُ للاعتناءِ بِهِ وقتُ كَثِيرٍ مِنَ الدَّارسينَ لِلسانِياتِ النصِّ الأدبيِّ دراسةُ النصِّ الأدبيِّ مِن واقعِ انتساجِ ألفاظِهِ معَ معانِيهَ في يُسرٍ وسُهولَةٍ مُفهِمَةٍ انصَهرَتْ عناصِرُهُ بعضُهَا معَ بعضٍ مِن خِلالِهَا، وقد أشعَرَ هَذا النَّصُّ بِأنَّ الدَّرسَ اللِّسَانِيَّ خَصَّصَ لَهُ فِي نَظرِيَّاتِهِ ومَفَاهِيمِهِ جانِبًا وافِرًا مِن دَرسه.

ومما لا بُدَّ مِن التَّنبيهِ علَيهِ – بَدايَةً – تِلك الأهميَّةُ الَّتي أوْلَاهَا العَرَبُ لِشبهِ الجُملَةِ في الأداءِ الوَظِيفيِّ فِي مُختَلَفِ المَواضِعِ الإعرابيَّةِ، إذ يَقومُ شِبهُ الجُملَةِ بِدَورٍ بالِغِ الأَهميَّةِ فِي تَوجيهِ مَسَارَاتِ الخِطَابِ وَتَحدِيدِ مَعَايِيرِ بِناءِ العِبارَةِ دَاخِلَ النَّصِّ، وذلِكَ مِن خلالِ ما قد تَقِفُ علَيهِ مِن وظيفَةِ الحَذفِ والتَّقديرِ فيما تعلَّقَ بِهِ شِبهُ الجُملَةِ، وفِي صَدرِ البَيْتِ الأوَّلِ :

عَلَى أَيمَنِ الأَوقاتِ كَانَ ارتِحَالُكَا وَفِي أَيمَنِ السَّاعاتِ كَانَ احتِلالُكَا

فَبَتقدِيرِ تَعلُّقِ الجَارِّ مَعَ مجرُورِهِ: " عَلَى أَيمَنِ..." و " وَفِي أَيْمَنِ

(١) ينظر : السابق، ص٢١.

السَّاعَاتِ..." بِمحذُوفٍ مُقدَّرٍ بِـ(كائنٍ) أو (واقعٍ) أو (حَادِثٍ) لَزِمَ عَلَى هذا أن يكونَ "...ارتِحالُكَا" اسم كان خَبَرُهُ مُتَعَلَّقِ الجارِّ (عَلَى) المَحذوفِ، وكذا الأمرُ فِي قَولِهِ : " وَفِي أَيمَنِ..."، وللحذْفِ هُنا مَزيَّةٌ ظاهرةٌ فِي تحديدِ مَساراتِ خطابِ الشَّاعرِ، فبهذا التَّقديرِ يحدثُ الانفتاحُ المَرجوُّ لِهذا النصِّ عَلَى نصٍّ غائبٍ، كانَ تقديرُهُ لازِمًا ضَروريًّا، ومِن ثَمَّ حدّثّ التَّداخلُ بينَ الموجودِ والمُقدَّرِ مِن فَحْوَى الخِطابِ الشِّعريِّ.

ولَهُ فِي الوزيرِ أبي الحَسَنِ بِن عُثمانَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ (الخَفِيفِ) قوله [1] :

بِـأَبِي مَـن إِذَا تَبَاعَـدَ عَنِّـي ... زَادَهُ الشَّـوقُ مِـن فُـؤادِي دُنُـوَّا

مَـا هَفَـتْ بِـي رِيـحُ التَّـذَكُّرِ إِلَّا ... رَاحَ قَلبِـي إِلَيـهِ يَهفُـو هُفُـوَّا

لَـم أَزَل حَـانِي الجَـوَانِحِ وَالقَلْـ ... ـبِ عَلَيـهِ مُـذْ بَـانَ عَنِّـي حُنُـوَّا

ولَم يَزلِ الشَّاعرُ يسْعَى سَعيَهُ رابطًا بينَ عناصرِ نصِّهِ اللُّغويَّةِ الشَّكليَّةِ والعَميقَةِ؛ طَلَبًا لِتماسُكِهِ وتَكامُلِهِ، لِيبدَأَ هذا النصَّ بِـ (بِأَبِي) وهو أُسلوبٌ عَربيٌّ مُعتادٌ لإظهارِ كيفَ أنَّ المادِحَ مُتَأهِبٌ لافتِداءِ مَمدُوحِهِ بِأبِيهِ، وقد جرَى هذا الأُسلوبُ مجرَى الأمثالِ، فجرَى فيهِ الحَذفُ وجوبًا، فتعلَّقَ الجارُّ والمجرُورُ بِمحذوفٍ تقديرُهُ : (أفتَدِي بِأَبِي)، والحذفُ أولَى في مثلِ هذا الأُسلوبِ مِن الذِّكرِ معَ مُخالَفتِهِ لضوابطِ النَّحوِ المُوجبةِ لِذكرِ المُتعلَّقِ إن كانَ كونًا خاصًّا، بيدَ أنَّ العِرفانَ بِهِ أدَّى إلَى ضرورةِ حذفِهِ للعِلمِ بهِ، كالحذفِ الجاري في قولِهم " بالرِّفاءِ والبَنِينَ " والتَّقديرُ (أعْرَسْتَ بالرِّفاءِ والبَنِينَ)، فكانَ مِن جَرِيرَةِ هذا الحذفِ أن دلَّ علَى مَدَى مَا يُكِنُّهُ الشَّاعرُ للوزيرِ مِن المحبَّةِ والوُدِّ.

ونلحظ أنّ ظاهرة الحذف في شعر المصحفي أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في الترابط النّصي وتلاحم أجزائه عبر بحث المتلقّي عن المحذوف في سابق الكلام

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة ، ص٢٤.

ولاحقه ؛ ممّا شكّل وحدةً نصّيّةً متماسكةً؛ إذ يساعد في توليد الإيحاء وتوسيع الدلالة التي قيلت فيه، وذلك بخلقه الفرضيات المتنوعة ، والزوايا المتعددة للمحذوف؛ تبعًا لاختلاف قدرة المتلقي وكفاءته، وما يملكه من تجاربَ عديدةٍ.

ثانيًا : الاستبدَالُ:

الاستبدال لغةً: يأتي الاستبدال بمعنى اتّخاذ البديل، ((تَبَدَّلَ الشَّيْءَ، وتَبَدَّلَ بِه، واسْتَبْدَلَه، واسْتَبْدَلَ بهِ، كُلُّه: اتَّخَذَ مِنْهُ بَدَلاً، وأَبْدَلَ الشّيْءَ من الشَّيْءَ، وبَدَّلَهُ: تَخِذَهُ مِنْهُ بَدَلاً))[١].

الاستبدال اصطلاحًا: و هو "عمليّةٌ تَتِمُّ داخلَ النَّصّ، يتمُّ فيها تعويض عُنصرٍ في النّصّ بعنصرٍ آخر، فهو علاقة اتّساق تتمُّ في المستوى التركيبي والمعجميّ بينَ كلماتٍ أو عباراتٍ"[٢].

وفي ضوء التّعريف السّابق نرى أنّ **الاستبدال** لا يكون خارج النّصّ، بل هو إحلال عنصرٍ لغويٍّ لاحقٍ مكان عنصرٍ لغويٍّ سابقٍ، فتكون العلاقة(قبليّةً) بينهما في أغلب الأحيان.

والاستبدال في أبسط معانيه هو" إحلال تعبيرٍ لغويٍّ محلّ تعبيرٍ لغويٍّ آخر معيّنٍ، ويسمّى التّعبير الأوّل من التّعبيرين، المنقول، المستبدل منه، والآخر الّذي حلّ محلّه المستبدل به"[٣].

ودرس الباحثان(**هاليداي ورقيّة حسن**) الاستبدال، وحدّدا له عنصرين رئيسين:(المُستبدَل والمُستبدَل منه)، والعلاقةَ بين هذين العنصرين ليست إلاّ علاقة تقابلٍ، يتحقّق معها الاتّساق على مستوى النّصّ، فهو أداةٌ رئيسةٌ من

(١) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سِيْدة: ٣٣٨/٩.

(٢) ينظر: لسانيّات النص، محمد خطّابيّ:١٩، وينظر: المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، نعمان بوقرّة: ٨٣.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم لغة النّصّ، سعيد بحيري: ٦١.

أدوات الاتّساق النّصّيّ[١].

أمّا (دي بوجراند)؛ فقد عرّف الاستبدال بأنّه " ارتباطٌ بين مكوّنين من مكوّنات النّصّ، أو عالم النّصّ، يسمح لثانيهما أنْ ينشّط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأوّل"[٢].

وظيفة الاستبدال

يعدّ الاستبدال أداةً مهمّةً من أدوات الاتّساق على مستوى النّصّ، فهو علاقةٌ تربط جملتين أو أكثر، وتكون هذه" العلاقة بين المستبدَل والمستبدَل منه علاقة تقابلٍ بين عنصرين لغويّين يجمعهما السّياق التّركيبيّ نفسه، إمّا باتّحاد الوظيفة، أو اتّحاد الموقع، أو اتّحاد الموقع والوظيفة معًا" [٣].

أنواع الاستبدال:

١- الاستبدال الاسميّ:

ويتمّ هذا النّوع من الاستبدال بوساطة عناصر لغويّةٍ اسميّةٍ، أي: استعمال ألفاظٍ معيّنةٍ مكان أسماءٍ جاءت في موضعٍ سابقٍ من النّصّ [٤].

٢- الاستبدال الفعليّ:

يكون هذا النّوع من الاستبدال باستعمال مادّة (فعل) بصيغها المختلفة، بمعنى أنْ يحلّ الفعل محلّ فعلٍ متقدّمٍ عليه في النّصّ ، فهو "هو مجموعة المقولات الفعليّة الّتي يمكن أَنْ تَحُلَّ مَحلّ الفعل مؤدّيةً وظيفَتَهُ التّركيبيّة" [٥].

---

(١) ينظر: لسانيّات النّصّ، محمد خطّابي: ٢١، والاتّساق في نهج البلاغة (رسالة ماجستير)، رائدة كاظم: ٦٨.

(٢) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند : ٣٠٠.

(٣) ينظر: علم اللغة النّصّيّ، صبحي الفقيّ: ٢٦٨.

(٤) ينظر: الاستبدال في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، سميرة قاسمي: ١١.

(٥) نحو النّصّ، عثمان حسين مسلم:١٠٣.

يقول المصحفي من(بحر الطويل) (١):

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفرَارُ لِحالَـةٍ سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ

وحيثُ لم يكُن ثَمَّ باعثٌ علَى إعادةِ ذِكرِ الفرارِ هربًا مِن مَطَلِ المُفرداتِ وارتكانًا واكتِفاءً بِما تَمَّ ذِكرُهُ مِن ذلِكَ سابقًا، استبدَلَ النَّاظِمُ لفظَ الفرارِ بِما يُفيدُ معناهُ استبدَالًا فعليًّا، فقالَ (لَمَ يَكُن) مِن قولِهِ : وَلَو أَنَّنِي وُفِّقْتُ للرُّشْدِ لَم يَكُن ....، والغرَضُ: لو أَنَّنِي وُفِّقتُ للرُّشدِ؛ فَلِم أقترِفِ الفعلَ المُوجِبَ لِفرارِي لَمَا اضطرِرتُ للفرارِ، وهذا المعنِيُّ بقولِهِ : لَم يَكُن...، وكانَ مِن وَقْعِ ذلكَ الاستبدالِ علَى دلالَةِ الغرضِ أنَّهُ أظهرَ مدَى ما يشعرُ بِهِ مِن الحسْرةِ والتندُّمِ علَى ما فاتَهُ مِن هذا، وتلكَ دلالةٌ مُوغِلَةٌ في الإبهامِ لولا التفاتِ الشَّاعرِ إلَى ذلك النَّوعِ من الرَّبطِ الدلاليِّ الانسجاميِّ الذي أسهَمَ في تَعميقِ المعنَى وانفتاحِ دلالتِهِ علَى آفاقٍ خارجيَّةٍ كانت خيرَ مُمَثِّلٍ للقِيمَةِ الدلاليَّةِ في الحالَةِ المقاميَّةِ سالفةِ الذِّكرِ.

ونَظَمَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ (المُتَقارِبِ) تِلكَ الأبياتِ فِي امتِدَاحِ الخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى بِنائِهِ لِلقَصرِ الَّذي بَنَاهُ فَي مَدينَتِهِ الَّتي أرساَهَا بِالقُربِ مِن (سَرقسطةَ) (٢):

أَيَـا زَهـرةَ المَجـدِ والمَكرُمَـاتِ وَيَـــا عَلَـمَ الفَخـرِ والمَـأثُراتِ

وَيَا شَبَهَ البَدرِ فِي المُدجِنَاتِ وَيَا خَلَفَ الغيثِ فِي المُمْحِلاتِ

وَيَــا ثَــامِنَ الخُلَفَــاءِ الَّــذينَ حَيُــوا بِمَســاعِيهِ بَعـدَ المَمَــاتِ

وَمَـن تَنجَلِـي مُظلِمَـاتُ الأُمُـورِ لِأوجِـــــهِ آرائِـــــهِ المُشْــرِقاتِ

وَمَــن تَــرَكَ الــدَّهرُ إحســانَهُ يَــرُوحُ ويَغــدُو بِـــــلَا نَائِبَــاتِ

أَجَلَّــكَ أن تَحتَــوِي بِــالظُّنُونِ وأَعــلَاكَ أن تَنتَهِــي بالصِّــفاتِ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٨.

(٢) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٩.

وبتعديدِ النُّعوتِ المُنادَاةِ معَ اتِّحادِ المَنعوتِ بِهَا نوعٌ مِن أنواعِ الاستبدالِ بينَ الأسماءِ المُنَادَاةِ وبعضِهَا؛ إذْ إنَّ الشَّاعرَ بدَأ بمناداةِ الخليفَةِ مادحًا إيَّاهُ بنعتِهِ الَّذي انتقاهُ لَهُ بِقَولِهِ :

أَيَا زَهرةَ المَجدِ والمَكرُمَاتِ ، ثُمَّ ثَنَّى بندائِهِ بنعتٍ سوى هذا، يحملُ معنًى جديدًا لا يتَّصِلُ بِسابقِهِ بأيٍّ من الصِّلات ، و يا علمَ الفَخرِ و المَأثُراتِ ، ثُمَّ أتبعَهُ بِنعتٍ ثالثٍ فِي محلِّ المُنادَى أيضًا ، و يا شَبَهَ البَدرِ فِي المُدجِنَاتِ ، ثُمَّ أتبَعَهَا بِنَعتٍ رابعٍ مِن قَولِهِ : وَ يا خَلَفَ الغيثِ فِي المُمْحِلاتِ ، ولَم يَقِفِ بِهِ الأمرُ عندَ هذا الحَدِّ، بل أتبَعَهُ بِنَعتٍ خامسٍ مِن قَولِهِ : و يا ثَامِنَ الخُلَفاءِ الَّذينَ ...

ومِن المَعلومِ أنَّ كُلَّ تلكَ النُّعوتِ لِمنعُوتٍ واحِدٍ، فكانَ تالِي الأوَّلِ مِنهَا بِمنزِلَةِ الأبدالِ للأوَّلِ؛ ذلِكَ أنَّهَا جميعًا – و إنْ تعدَّدتِ فِي مَدلُولِهَا – مَردُّهَا جميعًا إلَى شخصٍ واحدٍ، وإنَّ كانَ أحدُهَا يُغنِي عن البَقيَّةِ لَولا اختِلافُها فِي الدِّلالَةِ المعنَويَّةِ، وهو ما يُسمَّى بالاستبدالِ الاسميِّ؛ لِوقوعِهِ بينَ اسمَيْنِ جاءَ أحدُهما بديلًا للآخَرِ فِي اللفظِ معَ تَغايُرِ الدَّلالةِ .

ولَهُ فِي الوزيرِ أبي الحَسَنِ بنِ عُثمانَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ (الخَفِيفِ) [1]:

مَا هَفَتْ بِي رِيحُ التَّذَكُّرِ إلَّا رَاحَ قَلبِي إلَيهِ يَهفُو هُفُوَّا

وَمنِ شَجاعةِ النَّاظِمِ اعتمادُه الاستبدالَ الفِعلِيَّ والاسميِّ بينَ كُلٍّ من : (هَفَتْ، وَيهْفُو، وهُفُوًّا) فَأبدَلَ أوَّلًا الفِعلَ (يَهفُو) مِن الفِعلِ (هَفَتْ) ، ثُمَّ أبْدَلَ ثانِيًا الاسمَ (هُفُوًّا) مِن الفِعلِ (يَهفُو) تَوكيدًا للمعنَى بالتَّكريرِ، وتوثيقًا للرَّابطةِ الجامعةِ بينَ كلٍّ مِن هذه المُفرداتِ .

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة ، ص٢٤.

ثالثًا : الإحالَةُ:

الإحالـة: لغةً من قولهم: " المحالُ من الكلامِ ما عُدل به عن وجهِهِ ... وتَحَوَّل عن الشّيء زال عنه إلى غيره ... حالَ الرّجلُ يَحُول مثل تَحَوَّل من موضعٍ إلى موضعٍ ... حال إلى مكانٍ آخر، أَي: تَحَوَّل، وحال الشّيءُ نفسُه يَحُول حَوْلًا بمعنيين يكون تَغَيُّرًا ويكون تَحَوُّلًا ... ويقال: أحلت فلانًا على فلانٍ بدراهم، أحيله إحالةً وإحالًا " (١)، ومادّة(حول) تستعمل لازمةً ومتعدّيةً(٢).

الإحالـة اصـطلاحًا: لاشـكّ أنّ الإحالـة مصـطلحٌ قـديمٌ، ولكنّـه بمفهـوم استعماله والتّوسع فيه –وفي تطبيقاته في علم النّصّ يمكن أنْ نعدّه مصطلحًا جديدًا، فهي" تعني وجود عناصرٍ لغويّةٍ تسمّى بالعناصر المحيلة، مثل الضّمائر وأسماء الإشارة والموصولات، لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل، وإنّما تحيل إلى عنصرٍ آخر لأجل تأويلها، يسمّى المحال إليه، أي: أنّ هناك علاقةً دلاليّةً بين المحيل والمحال إليه تقتضي تطابقًا في الخصائص الدّلاليّة بين العنصرين" (٣)، وهنا نرى المعنى الاصطلاحي للإحالة يكاد يقترب إلى حدٍّ ما من المعنى اللّغويّ، فالتّغير والتّحول ونقل الشّيء إلى غيره يستلزم وجود عنصرين محيلٍ ومحالٍ إليه.

وقد عرّفها(**دي بوجراند**) بأنّها: " العلاقة بين العبارات ... والأشياء ... والأحداث ... والمواقف ... في العالم الذي يُدلّ عليه بالعبارات ... ذات الطّابع البدائليّ ... في نصٍّ ما، إذ تشير إلى شيءٍ ينتمي إلى نفس عالم النّصّ" (٤)،

---

(١) ينظر : الصحاح للجوهري : ٤ / ١٦٧٩ – ١٦٨٠ ، لسان العرب، ابن منظور: ١٨٦/١١–١٩٠، وينظر: المصباح المنير، الفيوميّ: ١٥٧/١.

(٢) ينظر: تاج العروس، الفيروز آبادي: ٣٧٠/٢٨.

(٣) التّماسك النّصّيّ في سور الحواميم، فائزة الموسوي: ٢٧.

(٤) النّصّ والخطاب والإجراء، دي بوجراند : ٣٢٠.

فالإحالة بهذا المعنى تعني ربط العبارات بالوسائط ذات المفهوم البدائليّ.

ويحدّ(**جون ليونز) الإحالة** بقوله: " إنّها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات" [١]، أي: إنّها العلاقة الجامعة بين الأسماء ومسمّياتها، فيأتي الاسم بديلًا عن مسمّاه.

ويعرّف(**ميرفي) الإحالة** بأنّها: " تركيبٌ لغويٌّ يشير إلى جزءٍ ما، ذُكرَ صراحةً أو ضمنًا في النّصّ الّذي سبقه، أو الّذي يليه" [٢].

ويجب أنْ يكون في الإحالة عنصران، الأوّل محيلٌ، والثّاني مُحالٌ إليه، تربطهما علاقةٌ تُوجِبُ وجود تطابقٍ في خصائص العنصرين الدّلاليّة[٣] ، " فالمعنى اللّغويّ العامّ لـ(الإحالة) ليس ببعيدٍ عن الاستخدام الدّلاليّ لها، فهي عبارةٌ عن علاقةٍ قائمةٍ بين عنصرين، فيتمّ التّحوّل من عنصرٍ إلى آخر، كما يتمّ الانتقال بذهن المتلقّي من خلال هذه العلاقة في فضاء النّصّ، ففي ذلك تحوّلٌ وتغيّرٌ في الاتّجاه، إمّا إلى الأمام أو إلى الخلف داخل النّصّ وقد يكون الانتقال إلى خارج النّصّ" [٤]، فيحدّد ذهن المتلقّي نوع الإحالة الّتي وردت في النّصّ في ضوء العناصر الموجودة فيه، فهي" وسيلةٌ من وسائل الاتّساق ...وربط أجزاء النّصّ وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النّصّ وتجسدها وخلق علاقاتٍ معنويّةٍ من خلال تلك العناصر الإحاليّة "[٥]، فتكمن أهمّيّة الإحالة في ربط أجزاء النّصّ في ضوء العلاقات المعنويّة الدّاخليّة والخارجيّة.

وأهتمّ علماؤنا القدماء بمسألة الإحالة ، فقد قاموا بـ" تصنيف الألفاظ إلى

(١) ينظر: نحو النّصّ(اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ)، أحمد عفيفي : ١١٦ .

(٢) مهارات التّعرف على التّرابط في النّصّ، ريما سعد سعادة الجرف : ٨٢ .

(٣) ينظر: التّماسك النّصّيّ في سور الحواميم(أطروحة دكتوراه)، فائزة الموسوي: ٢٨.

(٤) الإحالة في ضوء لسانيّات النّصّ وعلم التّفسير، الزّهرة توهامي: ٢٤ – ٢٥.

(٥) الإحالة في النّصّ، أحمد عفيفي: ٧.

ألفاظٍ غير مبهمةٍ، وهي الألفاظ الّتي لها دلالةٌ، والّتي تحيل بمفردها على خارجها في الواقع، وألفاظٍ مبهمةٍ لها دلالةٌ لكنّك لا تعرف لها خارجًا إلّا متى توفّر مفسِّرها وهذا المفسِّر قد يكون مقاميًّا، وقد يكون مقاليًّا"[١].

- **أنواع الإحالة :**

١ – الإحالة بالضّمائر

الضّمير لغةً: هو((السّرّ وداخلُ الخاطرِ، والجمعُ الضَّمائرُ وأَضْمَرتُ الشّيءَ أَخفيتُه))[٢].

أمّا في **الاصطلاح**؛ فقد حدّه سيبويه بقوله: ((وأمّا الإضمار؛ فنحو: هو وإيّاه وأنت وأنا ونحن))[٣]، وقال المبرّد(ت٢٨٥هـ) بأنّ: ((الأسماء المضمرة: وهي: الّتي لا تكون إلّا بعد ذكرٍ))[٤]، وهنا إشارةٌ واضحةٌ إلى التّماسك النّصّيّ الّذي يحدثه الضّمير عبر إحالته إلى اسمٍ ذُكر قبل ذلك الضّمير، وهو ما يسمّى بـ(الإحالة القبليّة).

ويقسّم الدكتور خطابي الضمائر كوسيلة من وسائل التماسك في النص إلى :

- الضمائر الوجودية ، مثل : أنا ، أنت ، أنتِ ، نحنُ ...
- الضمائر الملكية ، مثل : الياء في " كتابي " والكاف في " كتابك " [٥].

نوّع الحاجب المصحفي في توظيف الضمائر الظاهرة والمستترة في

(١) ينظر : أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة تأسيس نحو النّصّ، محمد الشاوش : ١ / ١٢٥.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيّده: ١٩٩/٨، وينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤٩٢/٤.

(٣) الكتاب ، سيبويه : ٦/٢.

(٤) المقتضب، المبرّد: ٣/ ١٨٦.

(٥) ينظر : لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ١٨.

الإحالات مما أسهم كثيرا في خلق روابط نصية بين المحيل والمحال إليه، أدى إلى تماسك تلك النصوص، يقول(من الطويل):[١]

تعاطيتُ صرفَ الحادثات فلمْ أزلْ أراها توفّي عند موعودِها الحُرَّا

فللهِ أيامٌ مضت لسبيلِها فإنيَ لا أنسى لها أبدًا ذِكرا

تجافت بها عنَّا الحوادث برهةً وأبدت لنا منها الطّلاقةَ والبِشرا

استخدم المصحفي الضمير المتصل (تاء المتكلم) في الفعل (تعاطيتُ) عنصرا إحاليا ، أحال به إلى عنصر يقع خارج النص ؛ هو العنصر الإشاري (الشاعر نفسه) ، كما استخدم الضمير المستتر (أنا) في الفعل (أزلْ) إحالة مقامية من داخل النص إلى خارجه من خلال الضمير المستتر، وكذلك في الفعلين (أراها) و (أنسى) ، كما استخدم الضمير (نا) العائد على جماعة المتكلمين نحويا ، وعلى الشاعر بلاغيا في (عنّا) ، (لنا) فهو عنصر إحالي أسهم في عملية الاتساق النصي بخلقه الربط بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية المؤدية إلى التماسك النصي.، وهذا كثير في مقطوعات المصحفي[٢] .

وقد تَوفَّرَ ذلك فِي قَولِهِ : "... ومَن يَكُن مَعَ اللهِ لَم يُعجِزْهُ فِي الأرضِ هاربُ " عَلَى إظهارِ هذا المَعنَى المُشارِ إليهِ آنِفًا مِن خلالِ نَوعَي الإحالَةِ المَقامِيَّةِ والنَّصيَّةِ؛ ففي البيتِ إحالَةٌ ظاهرةٌ علَى خارجٍ عنهُ لَم يذكرْهُ الشَّاعرُ فيهِ، أخبرَ الضميرُ المُستكِنُ في الفعلِ (يَكُن) عنهُ، فإنَّ مقتضَى حالِ الخِطابِ يُوجِبُ كونَ فرارِ الشَّاعرِ مِن شيءٍ بِعَينِهِ، غيرَ أنَّهُ لم يَذكُر في تلك الأبياتِ مِمَّن فرَّ ولا سببَ فرارِهِ منهُ، لِيأتِي بعد هذا البيتِ [٣]:

(١) الحاجب المصحفي حياته وآثاره الأدبية ، حسين خريوش ، ص ٤٨.

(٢) انظر مثلا : السابق ص : ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١، ٥٤ ، ٥٨ ، ٦٤ ،

(٣) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٨.

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفـرَارُ لِحالَـةٍ سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ

مُخبِرًا عن سببِ فرارِهِ، وهو مخافةُ المَوتِ الَّذي تهدَّدهُ بـهِ مَن فرَّ مِن وجهِهِ، و لـم يـذكر شـخصَ مَـن فرَّ مِنـهُ، اكتفـاءً بِدَلَالَـةِ السبَبِ علَـى المُسبِّبِ ، مُعمِلًا في ذلِكَ قوانِين أهلِ الفلسفَةِ للإرمازِ إلَى الغرَضِ مِن النَّصِّ .

ثُـمَّ إنَّـهُ مِـن المُلاحظِ أنَّ الشَّـاعرَ لَـو لَـم يُحِـل عَلَـى الضَّـميرِ المُستَكِنِ فـي الفعلِ (يَكُن) علَـى سَـبيلِ الإحالَـةِ النَّصـيَّةِ اللُّغَويَّـةِ مَـا تيسَّرَتْ لَـهُ الإحالَـةُ علَـى المَقامِ الخـارجيِّ؛ فقد كـانَ للضميرِ الذي اتَّخذَ لـهُ مرجعيَّـةً قبليَّـةً أثَّرَ فـي تـداخلِ السياقِ اللغويِّ معَ السياقِ الدَّلاليِّ الخارجيِّ؛ لينفتِحَ النصُّ بِدَورِهِ علَى مقامٍ خارجٍ عنهُ أدَّى إلَى إثراءِ النصِّ بِعلاقاتٍ مُتباينَةِ الأغراضِ، مُتَّحِدَةِ الموضوعِ .

وَقَالَ من (بَحْرِ الطَّويلِ) ، حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ:

وَأَقفَلْتَ عَنْهُم وَالمَنَايَا صَوائِبُ تَسِيلُ بِهَا فِي سَاحَتَيهِم سِجَالُكَا

وقد عَمَدَ إلَى سبيلٍ آخَرَ فـي هذا النصِّ يُؤسِّسُ فيـهِ لعلاقةٍ قَويَّةٍ تَربطُ بينَ عناصـرِ الـنصِّ اللغَويَّـةِ ربطًـا يُظهِـرُ أثـرَ المُكـوِّنِ اللُّغَـويِّ فـي تراثُـبِ عَناصـرِ الخِطـابِ – سبقًا، ولِحاقًا، وتتابُعًا – ذلِكَ حينَ لَم يسعَ إلَى إعادةِ المُفرَدةِ بعَينِهَا فرارًا مـن مغبَّـةِ التِّكرارِ المُخـلِّ بـالمعنَى المُرادِ بيانُـهُ فِـي الخِطـابِ المَحـدودِ مِـن النَّصِّ، بل حادَ عنهُ مُحِيلًا عَلَى ضَميرِهِ مِن قَولِهِ من (بحر الطويل) [١]:

وَأَقفَلْتَ عَنْهُم وَالمَنَايَا صَوائِبُ تَسِيلُ بِهَا فِي سَاحَتَيهِم سِجَالُكَا

ولـو أنَّـهُ قـالَ : " تَسِـيلُ بِالمَنَايَـا ..." بَـدَلاً مِـن قَولِـهَ : " تَسِـيلُ بِهَـا ..." مُستَعمِلًا الاسمَ الصَّريحَ مجرورًا بالباءِ الجارَّةِ بدلًا من الرَّمزِ إليهِ بالضَّميرِ (هَا) والإحَالَـةِ إليـهِ، لكـان خطابُـهُ أدخـلَ فـي خطـابِ المُولَّـدِينَ مِنـهُ فِـي شـعرِ شُـعراءِ العربيَّةِ الخُلَّصِ؛ حيث كان في خطابِهِ الشِّعريِّ ساعتئذٍ ما يدلُّ على أنَّهُ موجَّهٌ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

إلى مُنكرٍ لهُ دعاهُ إنكارُهُ إلى تكرارِ لفظِ المنيَّةِ بِعينِهِ، أو إلى جاهِلٍ بِقوانِينِ العربيَّةِ، أو إلَى غافلٍ عن المعنَى المُرادِ؛ فأراد أن يُنبِّهَ بالتَّكرارِ عقلَهُ .

ولكن لمَّا كانَ في الإحالَةِ عَلَى الضَّمِيرِ اختصارٌ، ودِقَّةٌ فِي تحريرِ المعنَى المقصودِ، واحتمالِ الضَّميرِ المُحالِ إليهِ لِمعنًى جديدٍ لا يُمكِنُ أن يُعبَّرَ عنهُ الاسمُ الصَّريحُ المحالُ مِنهُ (المَنايا)، وهو الأسبابُ المُؤَدِّيَةُ إلَى الموتِ، والمَقصودُ بِهَا الحَربُ، والباءُ الجَارَّةُ فِي هذا المَضمونِ للسَّبَبيَّةِ، والمقصودِ، أنَّكَ أيُّها الخَليفَةُ تَركتَ هؤلاءِ القَومِ مُصطَرِعِينَ فِي النَّوازِلِ التي تُصيبُهم بِسببِ قُوَّةِ فَتكِكَ بِهِم وخوفِهِم مِن مُساجَلَتِكِ.

والإحالةُ هُنا نصِّيَّةٌ قبليَّةٌ، مَردُّ الضَّميرِ المَجرورِ (ها) مِن قَولِهِ : " تَسِيلُ بِهَا..." علَى المُحَالِ عَلَيهِ أو إلَيهِ (المَنَايَا) مِن قَولِهِ : " والمَنَايَا صَوائَبُ..." وغَرضُهَا كَما لَا يَخفَى ليسَ مُجرَّدُ الرَّبطِ بينَ عَناصرِ النَّصِّ، بل مَا ذكرْنَاهُ مِن حَمْلِ الضَّميرِ لِمعنَى الأسبابِ المُؤَدِّيةِ إلَى مُلاقاةِ هؤلاءِ حتفَهم في مواجهةِ المَنايَا بِخشيَتِهِم مِن الخَليفَةِ .

<u>الإحالة بأسماء الإشارة :</u>

جعل (هاليدي ورقية حسن) أسماء الإشارة الوسيلةَ الثانية من وسائل الاتساق والإحالة ، فهي " تحيل إحالةً قبلية ، بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق ، ومن ثَمّ تسهم في اتساق النص [١]"، والهدف منها أنها " تحدد موقعها من الزمان والمكان داخل المقام الإشاري ...ولا تُفهم إلاّ إذا ارتبطت بما تشير إليه ، شأنها شأن الضمائر[٢]" .

جاءت الإحالة الإشارية – بسببِ قلَّةِ ما وصل إلينا من شعرِ

(١) ينظر : لسانيات النص ، محمد خطابي ، ص ١٩ وما بعدها .

(٢) ينظر : نسيج النص ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، بيروت ١١٨ .

المصحفي – قليلةً مع كونها عنصرًا مهما من عناصرِ التَّماسك النصي داخليا وخارجيا ، فأسماءُ الإشارةِ يرتبطُ مدلولُها بغيرِها ، فلا تستقل بذاتِها ، فإذا اتصلت بعناصرَ خارجِ النَّصِ فهي إحالةٌ مقاميةٌ أو خارجية ، وعندما تتصلُ بعناصرَ إشاريةٍ داخلَ النَّص فهي إحالةٌ نصيّةٌ داخليةٌ ، وما أحالت إليه سابقًا في النص فهي إحالةٌ قبلية ، وما أحالت إليه لاحقًا فهي بعدية .

سبق أن ذكرنا أن أسماء الإشارة وردت في شعر المصحفي بإحصاء أقل من الضمائر ، من ذلك قوله (من البسيط) [١]:

يا ذا الذي لم يدعْ لي حبُّه رمقا هذا مُحِبُّكَ يشكو البثَّ والأرَقا

لو كُنتَ تعلمُ ما شوقي إليك إذًا أيقنتَ أنَّ جميعَ الشَّوقِ لي خُلِقا

لم يبصِرِ الحُسْنَ مجموعًا على مَن ليسَ يُبصِرُ ذاكَ الخدَّ والعُنُقا

في هذا النص الغزلي يصوّر لنا المصحفي استعطافه لذلك المحبوب الصاد الجافي ، فجاء باسم الإشارة (ذا) محيلا إلى لاحق (الذي لم يدع لي حبه رمقا) إحالةً بعدية تحيل السابق للاحق، ثم أحال باسم الإشارة (هذا) على ما بعده ، وقد استخدم اسم الإشارة نيابةً عن الضمير (أنا) تجسيدا للحال التي وصل إليها حسيا نتيجة ذلك الهجران والبعد العاطفي ، ثم يحيل في البيت الثالث بـ (ذاك) وما في اسم الإشارة من البُعد والارتفاع ، فهو بخلاف غيره مكانةً وجمالا.

وقد استخدم اسم الإشارة (ذاك) ثلاث مرات متحدثا عن كلام المحبوبة وطيبه وذلك في قوله[٢]:

روضٌ يدلُّ جناهُ أنّ بقاعِهِ ممطورة من عذبِ ذاك الرِّيقِ

(١) الحاجب المصحفي ، ص ٥٧.

(٢) الحاجب المصحفي ، تتمة واستدراك ، ص ٢١.

وبــأنَّ ذاك الثغــرَ مــن حصــبائهِ وتــراه مــن ذاك اللمــى المَرمــوقِ

جاء اسم الإشارة (ذاك) للإحالة إلى لاحق (الريق ، الثغر ، اللمى) إحالات تسهم في امتداد العناصر ، لتحقق نسيجا متناسقا يزيد من تماسك النص.

نلحظ أن اسم الإشارة عنصرٌ مهم من عناصر التماسك النصي كبقية العناصر الإحالية التي تربط أجزاء النص بعضها مع بعض ، مما يُحدث تلاحما وتماسكا داخل النص وخارجه .

الإحالة بالأسماء الموصولة

يعدُّ **الاسم الموصول** هو أحد أدوات الإحالة، ووسيلةٌ مهمّةٌ من وسائل الاتّساق النّحويّ، ويكون مفتقرًا إلى ما يليه؛ ليكمل معناه، ويأتي مرتبطًا بمذكورٍ سابقٍ، فعودته على السّابق وافتقاره إلى جملةٍ لاحقةٍ؛ جعلته حلقة وصلٍ بين الجمل؛ ليقوم بوظيفة الرّبط والتّماسك النّصّيّ.

والموصول لغةً: " وَصَلَ الشَّيْءَ بالشَّيءِ وَصَلًا وَصلَةً، بِالكَسْر والضَّمّ، وَوَصَلَه: لأمه، وَوَصلَكَ الله بالكسرِ، لغةً ... وَوَصَلَهُ إِلَيْهِ، وَأَوْصَلَهُ: أَنْهاهُ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَهُ إِيَّاه"(١).

أمّا **اصطلاحًا**؛ فهو((مَا افْتَقَرَ إِلَى الْوَصْلِ بِجُمْلَةٍ خَبَرِيَّةٍ، أَوْ ظَرْفٍ، أَوْ مَجْرُورٍ تَامَّيْنِ، أَوْ وَصْفٍ صَرِيحٍ، وَإِلَى عَائِدٍ أَوْ خَلَفِهِ))(٢)، فهو اسمٌ يربط بين جملتين، ويدلّ على شيءٍ في الجملة الثّانية، وهذا الشّيء يسمّى صلة الموصول، وتكون على ضربين: جملةٌ، وشبه جملةٍ، والجملة تكون اسميّةً وفعليّةً، ويُشترط

(١) القاموس المحيط، الفيروز آباديّ(ت: ٨١٧هـ): ١٠٦٨، وينظر: تاج العروس، الزّبيديّ: ٧٩/٣١.

(٢) متن شذور الذّهب، ابن هشام: ٩.

أنْ تكون مشتملةً على ضميرٍ مطابقٍ للموصول في إفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه(١).

ولَهُ فِي الوزيرِ أبي الحَسَنِ بِن عُثْمانَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ (الخَفِيفِ) (٢):

بِـأَبِي مَـن إِذَا تَبَاعَـــدَ عَنِّـــي زَادَهُ الشَّـوقُ مِــن فُـؤادِي دُنُـوَّا

مَـا هَفَـتْ بِـي رِيـحُ التَّـذَكُّرِ إِلَّا رَاحَ قَلبِـي إِلَيـــهِ يَهفُـو هُفُـوَّا

لـم أَزَل حـانِي الجَـوَانِحِ وَالقَلْـ ـبِ عَلَيـهِ مُـذْ بَـانَ عَنِّـي حُنُـوَّا

ثُـمَّ إِنَّـهُ يُحِيـلُ بالاسـمِ المَوصـولِ (مَـن) مِـن قَولِـهِ : بِـأَبِي مَـن إِذَا تَبَاعَـدَ عَنِّـي... مِنَ البيتِ الأَوَّلِ علَـى الضَّميرِ المَحذوفِ معَ ما اتَّصلَ بِهِ مِن فعلٍ أو اسمٍ فِـي مَعنَـاهُ، لا لِمُجـرَّدِ الـرَّبطِ المَحـضِ بـينَ المُحيـلِ والمُحـالِ عليـهِ، بـلَ للإشعارِ بِأَنَّ لِهذا المَوصولِ مرجعيَّةً سابقةً معَ الحَذفِ، هذا ما وُجوبِ الالتِفَاتِ إِلَى أَنَّ الإحالَةَ بالاسمِ الموصولِ قد تكونُ عَلَى لاحقٍ عَلَى سَبيلِ الإحالَةِ البعديَّةِ لا القبليَّةِ في مثالِ الإخبارِ عن الاسمِ المَوصُولِ، كقولِنَا الَّذي يَطيرُ فَيغضَبُ زَيدٌ الذُّبابُ.

كمـا أَنَّـهُ أحـالَ بالضَّـميرِ (هـ) المَجـرُورِ بِحـرفِ الجَـرِّ (عَلَـى) مِـن قَولِـهِ : لَـم أَزَل حَـانِي الجَـوَانِحِ وَالقَلـبِ عَلَيـهِ... عَلَـى المَوصُـولِ الاسمي (مَـن) مِـن قَولِـهِ السَّـالفِ : " مَـن إِذا تَبَاعَـدَ عَنِّـي ..." والضَّـميرِ (هـ) مِـن قَولِـهِ : " إِلَّا راحَ قَلبِـي إِلَيـهِ..." إحالَـةً تُنبِـئُ عَـن حُضـورِ شـخصِ المحبُـوبِ فِـي سـياقِ الـنصِّ حُضـورًا غيبيًّا، والأَولَـى مِـن ذلِكَ القَـولُ بِـأَنَّ تلـكَ الإحالَـةَ النَّصـيَّةَ اللُّغَويَّـةَ مُشـعِرةٌ بِإحالَـةٍ مقاميَّةٍ تَجَلَّتْ ظاهِرةً فِي الخِطابِ مِن خلالِ عدمِ التَّصريحِ بشخصِ المحبوبِ، بل بالاكتفَاءِ بمُجرَّدِ إضمارِهِ مِن غيرِ ذِكرٍ سابقٍ لَهُ فِي فَحوَى الخِطابِ الشِّعريِّ مِن

(١) ينظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، ابن هشام: ١٣٠.

(٢) ينظر: الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢٤.

أوَّلِهِ إلَى مُنتهَاهُ .

وَمِن ثَمَّ يَظهَرُ لَنَا أمرٌ آخَرُ جَلَّتْ تِلكَ الإحالَةُ بِالمَوصُولِ والضَّميرِ عَنهُ، ألَا وَهوَ أنَّ شخصًا مَا معنِيًّا بِالخطابِ بِصِفَتِهِ لَم يَكن ليظهرَ أثَرُه فِي مَضمُونِ هذا الخِطابِ لَولا هذه الإحالةُ بِالاسمِ المَوصولِ والضَّميرِ الذي أحالَ عليهِ إحالَةً ثانويةً بعدُ .

وفي ضوء ما تقدّم، نصل إلى أنّ الإحالة هي وسيلةٌ فعّالةٌ في صنع تماسك النّصّ، وتجسيد وحدته العامّة ؛ لتجعله لُحمةً واحدةً متناسقة تربط النص داخليا وخارجيا مع ما يحيط به ، فهي لا تقلّ أهمّيّةً عن بقيّة وسائل التّماسك النّصّيّ الأخرى، كما أنّ لها القدرة على إيجاد تماسكٍ وترابطٍ وصنع وحدةٍ نصيّةٍ عبر الأدوات الّتي تحيل إلى شيءٍ سابقٍ أو لاحقٍ في الكلام.

رابعًا: الرَّبطُ :

جاء في لسان العرب: "ربط الشيء يربِطه ويربُطه رَبْطًا، فهو مربوط وربيط ، أي شدَّه، والرِّباط ما رُبِط به ، والجمع : رُبُط"(١)، ولم يبتعد القاموس المحيط عما ذكره لسان العرب حيث جاء فيه "ربطه يربِطه ويربُطه شده فهو مربوط وربيط، والمرابطة: أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره، وكل معد لصاحبه"(٢).

الربط اصطلاحًا:

تبدو الإشارة جلية في هذا المقام إلى انقسام اللسانيين المعنيين بعلم اللغة النصي حيال ترجمة المصطلح الأجنبي (Junction) إلى فريقين : فريق يسميه (الوصل)، مثل محمد خطابي، وفريق يسميه (الربط)، مثل الأزهر الزناد وأحمد

(١) لسان العرب، ابن منظور، (مادة ر ب ط).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (ر ب ط).

عفيفي. وإن كان الاختلاف في الاسم لم يبتعد عن مجال المسمى .

والربط بوصفه وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الترابط النصي، عرفه دي بوجراند بأنه "يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات"(١).

ويرى مصطفى حميدة أن هذه العناصر الرابطة تأتي تأكيدًا لوجود علاقة نحوية سياقية بين معنيين، فالربط عنده "اصطناع علاقة نحوية سياقية بين معنين، باستعمال واسطة تتمثل في أداة رابطة تدل على تلك العلاقة أو ضمير بارز عائد(٢)".

فالربط له وظيفة مهمة في أمن اللبس سواء كان لأمن لبس الانفصال أو الارتباط ، وقد أشار تمام حسان إلى وظيفة الربط بقوله: "إنه عادة ما يؤدي الربط وظيفةً مهمةً وهي وظيفةُ إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكورٍ سابقٍ بواسطة إحدى الوسائل اللفظية التي تعين على الوصولِ إلى هذه الغاية(٣)".

- **<u>أنواع الربط :</u>**
- **<u>الربط بالاستئناف :</u>**

يقول من بحرِ (الطَّويلِ) (٤):

فَرَرتُ فَلم يُغنِ الفرارُ وَمَن يَكُن ... مَعَ اللهِ لَم يُعجِزْهُ فِي الأرضِ هَاربُ

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفـرَارُ لِحالَــةٍ ... سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ

(١) النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ص٣٤٦

(٢) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان، لونجمان ، ط١ ١٩٩٧م ، ص ٢٠٣.

(٣) البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص ١٠٩

(٤) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٨.

ولَـو أنَّنِـي وُفِّقتُ للرُّشدِ لَـم يكُن وَلَكِـنَّ أَمـــــرَ اللهِ لَا بُـدَّ غَالـبُ

وقَـــــد قَادنِي قَهرًا إليكَ بِرُمَّتِي كَمَـا اجتـرَّ مَيْتًـا فِـي رَحَـى الحَـربِ

وأَجمَـعَ كُـلُّ النَّـاسِ أنَّـكَ قـاتِلِي وَرُبَّـــتَ ظَــنٍّ رَبُّــهُ فِيــهِ كَـاذِبُ

ثُمَّ إنَّ الشَّاعرَ لَو لَم يتمكَّن مِن الرَّبطِ بينَ المُبدَلِ (لم يَكُن) والمُبدَلِ منهُ (فَرَرْتُ) بِضميرِ الإحالَةِ النَّصِّيَّةِ الدَّاخِليَّةِ، لَم يَكُن لِيُسعِفَهُ التَّركيبُ بِما يَجمعُ عليهِ الغرضَ مِن الإحالةِ، وذلِكَ مِن الرَّبطِ بالضّمائرِ، بيدَ أنَّهُ ربطَ بِنوعٍ آخَرَ – وهو الأظهرُ في الرَّبطِ– ذلِكَ أنَّهُ وَصَلَ بينَ " وَلَو أنَّنِي وُفِّقتُ للرُّشدِ لَم يَكُن..." و " فَرَرْتُ فَلَم يُغْنِ الفرارُ وَمَن يَكُن ..." بِحرفِ الاستئناف الـ (و) فالثَّانيةُ منهُمَا جملَـةٌ مُستأنفَةٌ أضافَتْ معنًى جديدًا بِمنزلَـةِ الرَّجاءِ أو التَّمَنِّي أفادَت رَدَّ بعضِ أجزاءِ الكلامِ علَى بعضٍ، فَأشبَهَت بِذلِكَ مَا يُسمَّى بِرَدِّ الأعجازِ علَى الصُّدُورِ في البلاغَةِ العربيَّةِ معَ الفَارقِ فِي الأداءِ الوظيفيِّ لِكُلٍّ منهما، فحمَلَ الكلامُ مدلولًا يوحي بشناعَةِ الفعلِ الذي استوجَبَ فرارَهُ مِمَّن تهدَّدهُ بالمَوتِ، وذلِكَ دَيدَنُ الجُمَلِ الاستئنافيَّةِ؛ إذ إنَّهَا لا تظهَرُ استئنَافيَّتُهَا إلَّا بأحدِ أحرفِ العطفِ المُفيدَةِ لِذلك الغرضِ، معَ مَا لَهَا مِن غرَضٍ فرعيٍّ ينضافُ إلَى هذا الغرضِ مِن مُطلَقِ الجمعِ، أو التَّراخي، أو الجمعِ والتَّرتيبِ .

- **<u>الرَّبطُ بِالعاطِفِ :</u>**

وتكمن أهمّيّة العطف في أنّه يربط بين الجمل، ويساعد على تقديم معلوماتٍ نحويّةٍ ودلاليّةٍ، وكذلك يشترك في توضيح مفهوم النّصّ المثال في لغةٍ ما[1]، كما أكّد علماء النّصّ أنَّ الرّبط لا ينحصر في تحقيق التّماسك على مستوى الجزء من الكلام،((وإنّما يتوزّع على مستوياتٍ مختلفةٍ، كالألفاظ، والجملة،

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللّغة النّصّيّ، فولفجانج هاينة، ترجمة د٠ فالح شبيب العجميّ: ٢٥.

وأحيانًا على مستوى الجمل، أو على مستوى الفقرات، أو على مستوى النّصوص))[١].

وذكر الأزهر الزّنّاد أنَّ العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه تجعل منهما شيئًا متماسكًا، يربط بين أجزائه أدواتٌ شكليّةٌ –حروف العطف– وهذه العلاقة تمتدُّ من جزءٍ إلى آخر، حتّى يكون النّصّ كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني منتظمة المباني[٢].

وقَالَ المصحفيُّ وَاصِفًا حَالَهُ مَعَ مَن أَحبَّهُ مُلتَمِسًا مِنهُ النَّظَرَ إِلَى حَالِهِ، مِن بَحْرِ (الطَّوِيلِ) [٣]:

أَعِدْ نَظَرًا وَاستَوقِفِ الطَّرْفَ مُنعِمًا تَجِد كَلِفًا صَبًّا بِحُبِّكَ مُغرَمًا

سَرَى الحُبُّ فِي أَخلَاقِهِ فَأَرَّقَهَا وعَلَّمَهُ أَحكَامَهُ فَتَعَلَّمَا

وتَمامًا عَلَى مَا أحدَثَ فِي خِطابِهِ مِن تَوظِيفِ أَدَواتِ الرَّبطِ زَادَ فِي شُمُوليَّةِ هَذِهِ الرَّوابطِ لِشَدِّ أواصرِ النصِّ جَمِيعًا بَعضِهِ بِبَعضٍ، قَامَ هُنَا بِاستخدَامِ الارتبَاطِ التَّكامُليِّ بينَ جُملَتينِ مُتَتَابِعتَينِ لَا يَقعُ العَاطفُ إِلَّا فيمَا كانَ فيهِ تتابعٌ كهاتَيْنِ الجُملَتَيْنِ، حتَّى لا يُنزِلَ الثَّانيَةِ منهما منزلَةَ الخَبرِ مِن الأُولَى، فعَطَفهَا عليهَا بالواوِ لا غيرَ كي لَا يلتَبسَ معناهَا بِمعنَى المُرادِ منهَا التعقيبِ بِـ(الفَاءِ) أو التَّراخي بِـ(ثُمَّ) .

سَرَى الحُبُّ فِي أَخلَاقِهِ فَأَرَّقَهَا وعَلَّمَهُ أَحكَامَهُ فَتَعَلَّمَا

فاتَّسَقَتْ لَهُ بهذا الاستعمالِ أنساقُ الخِطابِ مُتجاورةً مُتواليَةً بعَطفِ الجُملَةِ الثَّانيَةِ :

(١) أصول تحليل الخطاب، محمد شاويش: ٤٣٣.

(٢) ينظر: نسيج النص، الأزهر الزّنّاد: ٣٧.

(٣) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة تتمة ، الساوري ، ص٢٢.

سَرَى الحُبُّ فِي أَخلَاقِهِ فَأَرَّقَهَا، علَى الجُملَةِ الأُولَى : وعَلَّمَهُ أَحكَامَهُ فَتَعَلَّمَا فَكانت الثَّانيةُ مِن الأُولَى بِمنزِلَةِ العُقدَةِ مِن الحَبلِ .

وَقَالَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ الطَّوِيلِ، حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ[1]:

تَنَقَّلْتَ عَن دَارِ الشِّقَاقِ مُظَفَّرًا وَقَد صَالَ بِالمَخذُولِ فِيهَا صِيَالُكَا

فالرَّبطَ يقعُ علَى صِفةٍ اصطِلاحيَّةٍ مخصوصةٍ يتحدَّدُ مِن خلالِهِ العلاقةُ التَّكامُليَّةُ بينَ عَنَاصِرِ نصٍّ ما وبَعضِهَا، لا يُؤَدِّي وظيفتَهُ الدَّلاليَّةِ إلَّا بِواسَطةِ الأدواتِ المُستخدَمَةِ فِيهِ، وإنَّ مِن دلالاتِهِ اللُّزوميَّةِ قُوَّةَ الاتِّصالِ بينَ أجزاءِ النَّصِّ، ويتجلَّى هذا فِي قولِ الشَّاعرِ :

تَنَقَّلْتَ عَن دَارِ الشِّقَاقِ مُظَفَّرًا وَقَد صَالَ بِالمَخذُولِ فِيهَا صِيَالُكَا

فقد ربطَ النَّاظمُ بينَ قولِهِ : " تنقَّلتُ عَن دَارِ الشِّقَاقِ مُظَفَّرًا "

وقَولِهِ : " قد صَالَ بِالمَخْذُولِ فِيهَا صِيَالُكَا " بالـ(وَاوِ) الحالِيَّةِ، لِيجعَل مِن جُملةِ :

" وَقَد صَالَ بِالمَخْذُولِ فِيهَا صِيالُكَا " جُملَةً حاليَّةً فِي مَحلِّ نصبٍ مِن الضَّمِيرِ المُستكِنِ فِي اسمِ المفعولِ المُنتَصبِ علَى الحالِ (مُظَفَّرًا)، أو حالًا مِن الضَّميرِ المُستترِ فِي الفعلِ (تَنَقَّلْتَ)، وقد ربطَ بِـ(وَاوِ) الحالِ ليجعلَ مِن تلكِ الجُملَةِ (حالًا) معَ توفُّرِ شَرطِ إيقاعِهَا حالًا بِما يعرضُ لِهذا التَّركيبِ مِن إدخالِ الواوِ علَى (قد) لتقريبِ زمَنِ الحَالِ وتَحقِيقِهِ، علَى أنَّ ما يجبُ التَّنبيهُ علَيهِ هُنا – ضَرورةً – أنَّ واوَ الحالِ تِلكَ، هِيَ فِي الأصلِ عاطفةٌ لَم تخرُج عن عَملِهَا في العَطفِ والرَّبطِ، وأنَّ عمَلَهَا فِي هذا البابِ لَم يكُن إلَا عملًا ثانويًّا، وعمَلُها في الربّطِ بينَ المعطوفِ والمَعطوفِ عليهِ – جُملَةً كانَ أو مُفردًا – هو الأصلُ، وقد حقَّقَ النَّاظمُ منهَا هُنا الغرَضَيْنِ : (الرَّبطَ، والحَاليَّةَ) فَتَناسَجَ اللَّفظُ معَ المدلُولِ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

عَليهِ بهِ مِن الجُملَةِ، علَى غِرارِ اتِّساقِ مُفرداتِ التَّركيبِ فِي هذهِ الجُملَةِ بِما شدَّ أواصِرَ النَّصِّ بَعضَهَا بِبَعضٍ، ومَا ذا إلَّا مِن أنواعِ اتِّساقِ المَبَانِي النَّصيَّةِ .

خامسا : الإحالة بالمقارنة :

المقارنة وسيلة من وسائل الاتساق الإحالية ، حالها حال الضمائر وغيرها ، وتتمثل في وجود عنصرين يقارن النص بينهما ، وتقوم على المطابقة والتشابه ، وتقوم على ألفاظ مثل وصف السيء بأنه شيءٌ آخر أو يماثله أو يوازيه ، وبعضها يقوم على المخالفة كأن تقول : يضار أو يعاكس أو أفضل أو أكثر ، أو أجمل[١] " ، وقد قسّم الباحثان (رقية حسن و هاليدي) المقارنة إلى نوعين : إشاري وغير إشاري[٢] . يندرج مدلولها في المقارنة العامة التي تعبر عن التشابه والتطابق ، ومقارنة خاصة تعبر عن الموازنة بين شيئين كمًّا (أقل ، أكثر ..) أو كيفا (الأفضل الأقل ، الأجمل ...) ، فألفاظ المقارنة تمتاز بأنها عناصر إحالية لا تستقل بذاتها ، فهي تحيلُ إلى عناصر أخرى تغذي المعنى .

وردت ألفاظ المقارنة في شعر المصحفي كثيرا ، من ذلك استعمالُ أداة التشبيه (كأنَّ) كقوله [٣] :

وكــأنّ أثنــاء الثريّــا إذا بــدتْ قــرطٌ طــريحٌ فــي بســاطِ زُمــرّدِ

وكأنّمــا لــبس الســماءُ مــلاءةً خضراءَ تُرصفُ من جمالِ العسجدِ

استخدم أداة التشبيه (كأنَّ) ؛ لتسهم في الربط بين المشبه والمشبه به عبر إحالةٍ أمامية ، إذ جعل أداة التشبيه (كأن) عنصرا إحاليا يشير إلى

(١) ينظر : أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، محمود الهواوشة ، ص ٨٧.

(٢) ينظر : الإحالة .. ، ص ١٩٧.

(٣) الحاجب المصحفي ، ص ٤٧. و كذلك ص ٤٦ (مستن السهام ، قذف المنجنيق) ، ص ٥٦ (وكأنّ دائرة الحديقة) .

عنصر إشاري خارجي وهو الثريا والسماء .

وتأتي (الكاف) كما في قوله [١]:

انظر إلى الروضِ الأريضِ تخالُهُ كالوشــي نُمِّــقَ أحســنَ التنميــقِ

استخدم المصحفي أداة التشبيه (الكاف) ؛ ليحيل بها على عنصر إشاري خارجي حينما صور ذلك الروض الجميل وما فيه من تنوع زهري يغذي البصر كالوشي المنمق في الثياب بألوانه وأشكاله . فهي إحالة مقامية تحيل إلى عنصر خارج النص مما أدى إلى ربط الأجزاء الداخلية والخارجية من خلال التشبيه ، مبينا بذلك جمال الروض وحسنه .

ومن الإحالة المقارنة استعمال (أفعل التفضيل) ؛ للمقارنة بين كلمتين أو جملتين مختلفة المرتبة ، من ذلك قوله [٢]:

أحــنُّ إلــى أنفاسِــكم فأظنُّهــا بواعثَ أنفاسِ الحيـاةِ إلـى نفسـي

وإنَّ زمانًــا صــرتُ فيــهِ مقيَّــدًا لأثقـلُ مـن رضـوى وأضـيقُ مـن

استخدم المصحفي اسمي التفضيل (أثقل ، أضيق) للتعبير عن ألم السجن والقيد ، فالقيدُ أثقل من جبل رضوى ، والسجن أضيق من الرَّمس ، فهو يصور لنا حجم المعاناة التي تلازمه في سجنه ، ويقول في أخرى [٣]:

وما كان من عطفٍ عليّ حديثها ولكــن لتعــذيبِ الفــؤادِ المُعــذّبِ

حـديثٌ لـو استسـقت بـه الصـخر بأعـذب مـن صـوبِ الغمـامِ وأطيـبِ

---

(١) السابق ، ص ٥٦ .

(٢) الحاجب المصحفي ، ص ٥١ ، وانظر كذلك ص ٤٤ (أعجبُ) ، ص ٤٨ (أجل ، وأعلى) ، وغيرها .

(٣) المصحفي تتمة واستدراك ، ص ١٨. وانظر: التتمة والاستدراك ، ص ٥٦ (أذكى وأعبق).

استخدم أفعل التفضيل (أعذب) للمقارنة بين حديث المحبوبة وماء الغمام في الطيب والعذوبة .

مما سبق نستطيع أن نقول إن الإحالةَ آلية من آليات الاتساق والتماسك في النصوص ؛ لأنها تؤدي إلى خلق نسيج متوائم بين الأجزاء الداخلية والخارجية للنص .

سادسًا : التناص

تعدَّدت تعريفاتُ النقادِ له في الغربِ و الشَّرقِ ، كما تعددت أشكاله وأنواعه(١) ، وتداخل النصوص بعضها مع بعض أمر حتميٌ ، والجدال فيه مفروغ منه نقديا، فليس ثمّة نقاء نصي، فـ " الفنان يكتب ويرسم لا من الطبيعة؛ وإنّما من وسائل أسلافِهِ في تحويل الطبيعة إلى نصٍّ ؛ لذا فإنَّ النَّصَّ المُتداخل هو : نصٌّ يتسرّب إلى داخل نصٍّ آخرَ؛ ليجسد المدلولات ، سواء وعى الكاتبُ ذلك أم لم يعِ"(٢).

ولا غروَ أنَّ المبدعَ عندما يبدع نصَّهُ يستدعي كمًّا هائلًا من النصوصِ

---

(١) للمزيد عن التناص ينظر مثلا :

- مصطلحات النقد العربي السيماوي : الإشكالية والأصول والامتداد، مولاي علي بوخاتم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.
- المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي–عربي، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥م.
- معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ودور أخرى، ط١، ٢٠١٠.

(٢) ينظر : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، د. عبد الله الغذامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٨م ، ص ٣٢٥.

والمعاني والأفكارِ والصورِ الفنية ، وهنا تكمن مهارة الناقدِ والمتلقي ، وبداية الإبحار في رحلةٍ شاقةٍ للبحثِ عن مرجعياتِ تلك النصوص وأصولها ، فالنص شبكة " تلتقي فيها عدة نصوص يستطيع الشاعر أن يجعل منها كنزه الشعر ، وذاكرته الشعرية ، وهي نصوص لاتقف عند حدِّ النص الشعري بالضرورة ، فهي حصيلة نصوص يصعب تحديدها وتصنيفها ، فهي مختلطة ما بين الحديث والقديم ، والعلمي بالأدبي"(١).

ولذلك تعددت تقسيمات النُّقاد للتناص ، ومن أشهرها : التناص الداخلي ، والتناص الخارجي ، والتناص الشكلي ، والتناص المضموني ، والتناص المباشر ، والتناص غير المباشر..، من حيث اجتزاء بعض النصوص ، أو فكرتها ، أو جزء من الصورة أو الإشارة التاريخية والأحداث ، أو ما يمكن فهمه تلميحا أو تصريحا ، كل ذلك ينظر إليه الناقد في مباشرته وتعاطيه للنصوص ، فهي نصوص جديدة مبنية على أجزاء من نصوصٍ سابقة دخلت في نسيج النص الجديد واصطبغت بصبغته ، وامتزجت بملامحه ، ومن ثم فالتناص ليس عمليةً سهلةً وبسيطةً يمكن من خلالها فصل الأثر السابق من العمل اللاحق المتأثر ، فالنص يخضع لعميلة بناء جديد ... وإنما تدخل في نسيج ، ويصبح لها دلالات ترتبط بالنص وسياق إنتاجه (٢).

إن عملية تخصيب النصوص وتلاقحها إيقاظٌ لفكر المتلقي وديل براعة المبدع ، فهي قوالب تنتقل دلاليا من نص إلى نص آخر جديد مكوِّنةً دلالةً

(١) ينظر : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، مقاربة بنيوية تكوينية ، محمد بنيس ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٥١.

(٢) ينظر : علم لغة النص ، ص ٧٩.

جديدة[١] .

سيقف البحث عند التناص في ما وصل إلينا من شعر للحاجب المصحفي ، يقول مبينا تقلّب الأحوال (من الكامل) [٢]:

لا تـــأمننَّ مـــن الزَّمـــانِ تقلُّبـــا إنَّ الزمـــــانَ بأهلِـــــهِ يتقلَّـــــبُ

يبين لنا حال الدنيا وتقلباتها التي لا تثبت على حال من الأحوال ، ويقول صالح بن عبد القدوس (ت ١٦٠هـ) مبينا حال الدهرِ وتقلباتِهِ وتصرّمه ، يقول في ذلك في القصيدة الزينبية [٣]:

صَرَمَت حبالَكَ بعد وصلِكَ زينبُ والـــدَّهرُ فيـــهِ تصـــرُّمٌ وتقلّـــبُ

ويقول تميم الفاطمي (ت ٣٧٤هـ)[٤] :

بـــادرْ بهـــا لِـــيْنَ الزَّمـــانِ فإنَّـــه زمـــنٌ علـــى أبنائِـــهِ يَتقلَّـــبُ

إذ وظَّف المصحفيُّ هذا المعنى الذي يدل دلالةً واضحةً على حالته التي تقلب من عزٍّ الحجابة إلى ذل القيد والسجن ، ويقول في النص نفسه :

ولقـــدْ أرانـــي والليـــوثُ تخـــافُني وأخـــافَني مِـــن بعـــدِ ذاكَ الثَّعلـــبُ

---

(١) ينظر : علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ، سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية (لونجمان) ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م. ، وينظر : زمن الشعر لأدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٨م.

(٢) الحاجب المصحفي حياته وآثاره ، ص ٤٤.

(٣) انظر : صالح بن عبد القدوس البصري ، تأليف وجمع وتحقيق ، عبد الله الخطيب ،دار منشورات البصري ، بغداد د.ت ، ص ١٢٣. وقد نسبت القصيدة للخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ،انظر في ذلك : ديوان الإمام علي، جمه وضبطه وشرحه ، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٤٧ .

(٤) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، دار الكتب المصرية ، ط١، ١٩٥٧م ، ص ٨٢.

وهذا قريب من قول تميم الفاطمي ت٣٧٤هـ([1]) :

كمْ خِفْتُ من لحظِ عيونِ المها وكـمْ أخفـتُ الأُسـدَ فـي خيسِـها

بـيّن المصـحفي أنَّ الليـوث تخافـه ؛ لشـجاعته وسـطوته وسـلطانه ، فلمـا تبدلت حالُه وتسلط على مصيره المنصورُ بن أبي عامر أصبح المصحفي يخاف منه ، ونعته بالثعلب ، فهي حال مفارقة بين حالتيه في العز والسجن ، أمَّ تميم فحاله بخلاف ذلك ، فخوفه من لحظ عيون المها التي لا يتمالك شجاعةً تجاهها ، ويملك شجاعةً كاملةً تجاه الأسد في عرينها وأجمتها ، ووجودها في خيسها وأجمتها بيانٌ لضراوتها ودفاعها المستميت عن أرضها ، ومع ذلك فتميمٌ لا يخاف منها ، ومن باب أولى فهو لا يخاف من غيرها ، فالتناص هنا بيانٌ لحالتين متباينتين لكلَّ من المصحفي وتميم .، ويتحدث عن موسم الورد ، قائلا (من السريع) [2] :

فاجـــأني كـــانونُ بـــالوردِ فزادنـــي وجـــدًا إلـــى وجـــدِ

فالوردُ ذكَّره أشياء جميلة حرَّكت مشاعرَه ، فزاد ذلك من وجده ، وهذا التركيب (وجدًا إلى وجدِ) جاء في شعر جميل بثينة (ت ٨٢هـ) ، من ذلك قوله [3]:

ولو حاولت هجرانَها النَّفسُ لم يَعُدْ إلـى سـلوةٍ بـل زاد وجـدًا علـى وجـدِ

(١) السابق ، ص ٢٤٦. والخيس الشجر الكثير الملتف ، وهو موضع الأسد ، ويسمى الأجمة .

(٢) الحاجب المصحفي ، ص ٤٨.

(٣) ديوان جميل ، شعر الحب العذري ، جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصّار ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د.ت، ص ٤٣ .

ويقول يزيد بن الطّثريّة (ت ١٢٦هـ) متحدثا عن صبا نجدٍ [١]:

ألا يا صبا نجدٍ لقد هجتُ من نجدِ فهيَّج لي مسراكَ وجدًا على وجدِ

ويقول علي بن الجهم (ت ٢٤٩هـ) في مطلعه المشهور +:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا

أَعَدنَ لِيَ الشَوقَ القَديمَ وَلَم أَكُن سَلَوتُ وَلكِن زِدنَ جَمراً عَلى جَمرِ

وظّف المصحفي هذا التركيب في حديثه عن الورد ، وجميل لو حاول نسيان بثينة لزاد ذلك من وجده ، وابن الطثريَّة هيجه صبا نجد وزاد من وجده وشوقه ، وأوقدت عيون المها هوى ابن الجهم فزاد جمرُ الشَّوق التهابا .

ويقول المصحفيُّ في الوصف (من الطويل[٢]):

لها ريحُ محبوبٍ وقسوةُ قلبِهِ ولونُ مُحبٍّ حُلَّة السُّقم مكتسي

مايز بين حالته وحالة محبوبه وجعل الزهرة جامعةً للحالتين ، فقد شابهت المحبوب في ريحتها المِسكيَّة العطرة ، كما أخذت منه قساوة القلب ، أما لونها الأصفر فاستعارته من المُحبِّ الذي اكتسى بحلَّة السُّقم .

لعل المصحفي نظر في هذا إلى قول ابنِ دريد (ت٣٢١هـ) في وصفِ الأترجة حين قال [٣]:

فيهِ لمَن شمَّهُ وأبصرَهُ لونُ مُحبٍّ وريحُ محبوبِ

حيث جمع بينهما ففي الأترجّة ريح المحبوب واصفرار المحب إلّا أن

---

(١) شعر يزيد بن الطثرية ، صنعه/ حاتم صالح الضامن ، مطبعة أسعد ، بغداد ، د.ت، ص ٦٨.

(٢) الحاجب المصحفي ، ٥٠ .

(٣) ديوان ابن دريد ، دراسة وتحقيق / عمر بن سالم ، ط١ ، ٢٠١٢م ، سلطان العويس ، ص ٥٥.

المصحفي زاد في وصفه قساوة قلب المحبوب ، كما أنه فصّل سبب اصفرار المُحب وأن ذلك ممّا أصابه من سقم نتيجة صدِّ المحبوب وإعراضه ، ويقول المصحفي في القصيدة نفسها :

ذكرتُ بها مَن لا أبوحُ بذكرِهِ فأذبلها في الكفِّ حرُّ تنفّسي

أخذها في كفِّه مشبعا بصره بحسنها وأنفه بعَرفها ، فذكرته المحبوب الذي لا يبوح بذكره صيانةً له ، فما كان من ذلك الضّمّ في الكف والشَّمّ بالأنف إلا الذبول من شدة حرارة الأنفاس العاشقة ، وفي هذا البيت تناصان : الأول في قوله (مَن لا أبوح بذكرِهِ) ، والثاني (أذبلها في الكف حرُّ تنفسي)

يقول في المعنى الأول مجنون ليلى (ت ٦٨هـ)[١] :

وذكَّرني مَن لا أبوحُ بذكرِهِ محاجرُ خشْفٍ في حبائلِ قانصِ

ذكرته محاجرُ الخشف الذي ارتاع من حبائل القانص ذكرته عيونَ محبوبةٍ لا يبوح باسمها ، تملكته صورة المحبوبة وتفاصيل جمالها ، فأصبح يرى ماكان جميلا مما حوله يشبه ما فيها من الجمال، فالمصحفي ذكرته تلك الزهرةُ رائحةَ محبوبِهِ ، ومجنونُ ليلى ذكره ذلك الخشفُ الذي وقعَ في حبائلِ الصيادِ عيونَ محبوتِهِ ، وكلاهما أغفلا اسم المحبوب (مَن لا أبوح بذكره) تملَّكا له وحفاظا عليه.

وفي المعنى الثاني (فأذبلها في الكفِّ حرُّ تنفّسي) ، يقول ابن دريد (ت ٣٢١هـ) من البسيط [٢]:

ريحانةً ضُمّخت بالمسكِ ناضرةً تمجُّ بردَ الندى من حرِّ أنفاسي

(١) ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق / عبد الستار أحمد فرّاج ، مكتبة مصر ، د.ت ، ص ١٧٥. والمحاجر : جمع محجر ، وهو ما دار حول العين ، والخِشف : ولد الظبي .

(٢) ديوانه ، ص ٤١.

يطالعنا قول الصنوبري (ت٣٣٤هـ) حين قال [١]:

وضـــاحكٍ عـــن بَـــرَدٍ مشـــرقٍ أباحنيـــــــهِ دون جلّاســـــــي

فكلّمـــــا قبلتُـــــهُ خفـــــتُ أنْ يـــذوبَ مـــن نيـــرانِ أنفاســـي

ويقول المتنبي (ت ٣٥٤هـ) [٢] :

وبَسَـمن عـن بَـرَدٍ خشـيتُ أُذيبَـهُ مـن حـرِّ أنفاسـي فكنـتُ الـذائبا

ذكر لنا المصحفي تلك الزهرة التي آلت إلى يده فذبلت من حرِّ أنفاسه ، أما ابن دريد فحرُّ أنفاسِهِ جعل الريحانةَ المضمّخةَ بالمسك تمجُّ بردَ النَّدى ، فأخرجت ما فيها من حُسنٍ بتعرضها لحرِّ أنفاسه ، والصنوبري يصف أسنان محبوبه التي وصفها بالبرَد المشرق وأنّ الشاعر خاف على تلك الأسنان وذلك البَرَد من الذوبان من شدة حرّ أنفاس المقبِّل لثغر المُقبَّل ، أمَّا المتنبي فقد خاف على أسنانهن أن تذوب من شدة حرارة أنفاسه ، فلما رحلنّ عنه ذاب هو من شوقه إليهنّ.

نلحظ أن المعنى متقارب ، فحرارة الأنفاس العاشقة عبّر عن أثرها الشعراء الأربعة تبعا لما يقتضيه الموقف والمعنى المتوخّى في السياق .

ويقول المصحفي (من الطويل) [٣]:

إذا مـا ارتمـتْ أمواجُـهُ خِلـتَ أنَّهـا ذُرَى الشُّـمِّ أمَّتنـا مـن البـرِّ تُرَّعَـا

---

(١) ديوان الصنوبري ، تحقيق / لطفي الصقال ، ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي بحلب ، ط١ ، ١٩٧١م ، ص ٥٠.وقد نسبها ابن وكيع في المنصف لديك الجن الحمصي (ت٢٣٦هـ) ، وأثبتها محققا ديوانه في الديوان (ديوان ديك الجن الحمصي ، تحقيق/ أحمد مطلوب ، وعبد الله الحيدري ، دار الثقافة ، ص ٢١٢.

(٢) شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة ١٩٧٩م : ١/ ٢٥١.

(٣) الحاجب المصحفي ، ٥٤.

يتحدث عن البحر وهول أمواجه المرتفعة التي تشبه قمم الجبال الشُّم ، ولا غرو في هذا من التأثر بالقرآن الكريم وتشبيهاته وصوره كما جاء في قصة نبي الله نوح – عليه السلام – وغرق قومه ، قال تعالى : " وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ(١) " إذ شبه – سبحانه – ارتفاع أمواج الطوفان الذي غطّى الأرض بالجبال في ارتفاعه وتعدده واختلاف أحجامه ، بقي هذا التشبيه عالقا في العقول المبدعة تغترف من تفاصيله ، وتحوم حول سفحه ، من ذلك قول الفرزدق (ت١١٠هـ) حين قال مفتخرا بشعرِهِ (من الوافر) (٢):

تَــرَى أَمْوَاجَــهُ كَجِبَــالِ لُبْنَــى وَطَــودِ الخَيــفِ إِذْ مــلأ الجنابــا

إِذَا جَاشَــتْ ذُرَاهُ بجُــنحِ ليــلٍ حســبتَ عليــهِ حــرَّاتٍ ولابــا

يفخر بشعره واصفا إيّاه بالبحر (إذا بحري رأيت له عبابا) أمواجُهُ كجبال لبنى وكجبل الخيف ، تجيش ذراه كأن عليها الحرات الملتهبة ، ويقول كشاجم (ت٣٦٠) (من المنسرح) (٣):

وتــارةً فــي الفــرات طاميــةً أمواجُــهُ كالجبــالِ معتكِــرةْ

زاد كشاجم صفةً للتشبيه ، وهي كون الجبال معتكرةً غير منتظمة ، وأمواج

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٢ .

(٢) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ / علي الفاعور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص ٩٤ . ولُبنى : اسم جبل ، والخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمي مسجد الخيف بمنى (معجم البلدان ، الحموي : ٤١٢/١.

(٣) ديوان كشاجم ، تحقيق وشرح وتقديم / خيرية محمد محفوظ ، وزارة الإعلام ، سلسلة كتب التراث ١٧ ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص ٢١٠ .

النهر أقل من أمواج البحر وأكثر اضطرابا .

ويقول الحاجب المصحفي مادحا وواصفا النرجس (من الطويل) [١]:

فصيحٌ إذا استنطقتَهُ عن زمانِهِ وما خِلتُ أنَّ النَّورَ من قبلُ يَنْطِقُ

يبثُّكَ أنفاسَ الحبيبِ وإنَّها لأذكى من المسكِ الذكيِّ وأعبَقُ

وفي قوله (فصيحٌ إذا استنطقته) تعالق واستدعاء لوصف أبي تمام (ت٢٣١هـ) للقلم حين قال (من الطويل) [٢]:

فصيحٌ إذا استنطقتَهُ وهو راكبٌ وأعجمُ إنْ خاطبتَهُ وهو راجلُ

يتحدث المصحفي عن تلك الزهرة الباذخة الجمال ، تعربُ عما في نفسها ومن جمال نرجسي ، ولم يكن في خلد الشاعر أن تلك الزهور (النَّور) يستطيع الكلام بفصاحة بإيحاء من تفاصيل جمالها أوصلت للشاعر من المعاني ما كان كالنطق الذي جعل الشاعر غير مصدق أن يحث هذا منها ، أما أبو تمام فوصفه للقلم (قلم الكاتب) الذي عن طريقه يفرغ الكاتب مايملى عليه أو يريد الإبانةَ عنه ، فهو يكتب الفصيح إذا امتطى صهوة الأنامل ، فقلم أبي تمام فصيح بما يعطيه غيره من الكلام والكتابة ، ونرجس المصحفي فصيحٌ بجماله ، ففصاحته ملتصقةٌ به ملازمةٌ له .

ومن التناصات الصُّورية عند المصحفي تصويره للروض بالوشي ، يقول في ذلك (من الكامل) [٣]:

انظر إلى الرَّوضِ الأريض تخالُهُ كالوشي نُمِّقَ أحسنَ التنميقِ

---

(١) الحاجب المصحفي ، ٥٦.

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق / محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٢م ، ١٢٣/٣.

(٣) الحاجب المصحفي ، ص ٥٦.

وهذه الصورة (الروض كالوشي) تتعالق وتتناص مع تصوير البحتري (ت ٢٨٤هـ) في قوله [١]:

وأرى الـــدكتين بينهمـــا أفـــ ـــوافُ روضٍ كالوشـــي فـــي ألوانِـــهِ

بيَّن المصحفيُّ لوحةً فنيةً نسجها الخالقُ – سبحانه – لذلك الروضِ الفاتنِ بجماله وجمالِ أزهاره المتنوعة لونًا وحجما ، إذ جعله كالثيابِ الموشَّاة والبرودِ المطرَّزة في دقة التنميق وحسن الألوان وانسجامها ، ولا يخفى جمال الجناس في قوليه (الروض الأريض) ، (نُمِّق التنميق) وتكثيف الجمال في قوله (أحسن) المضافة للتنميق ، وأن ذلك الروضَ أشبه ذلك الثوبَ الذي بلغ الغاية في الدقة والحسن. أمَّا البحتري فاكتفى في تصويره للروض بالوشي من حيث عددُ الألوانِ فيما بين الدكتين .

يقول المصحفي في تهنئته الحكم المستنصر (ت٣٦٥هـ) بالخلافة (من الطويل)[٢]:

فصـارت إليـهِ فـي حـدودِ تمامِـهِ وصـار إليهـا فـي حـدودِ تمامِهـا

أي أن الخلافة أتته في نضجه السياسي ، وصار إليها في قوتها ومنعتها بعد أبيه الناصر (ت٣٥٠) ، فهو كمالٌ ونضج ، والدولة والبلاد كذلك في قمة كمالها وتمامها ، وهذا يستدعي لنا تهنئةَ أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) بالخلافة حين قال [٣] :

---

(١) ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٧م ، ٤/ ٢١٧٠ .

(٢) الحاجب المصحفي ، ص ٦٢.

(٣) أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، عني بتحقيقها الدكتور/ شكري فيصل ، مكتبة دار الملاح ، دمشق ، د.ت، ص ٦١٢.

أتتـــــهُ الخلافـــــةُ منقـــــادةً إليـــــهِ تُجـــــررُ أذيالَهـــــا

ولـــمْ تـــكُ تصـــلحُ إلَّا لـــهُ ولـــمْ يـــكَ يصـــلُحُ إلَّا لهـــا

جعل أبو العتاهية الخلافة امرأةً جميلةً تجرر أذيال ثيابِها ، فهي لا تصلح إلَّا لـه ، وهـو لا يصـلحُ إلَّا لهـا ، ولعـل المصـحفي نظـر إلـى حـال الأنـدلس وملاءمة الحكَم المستنصر لها ؛ لإكمال ذلك العز وتلك المنعة ، أما أبو العتاهية فلعلَّ حياة اللهو والرقص والغناء في قصور العباسيين جعلته يجعل الجارية ركنا من أركان صورته .

ويقول المصحفي واصفا (من الطويل) [١]:

إذا مـا تراءتـهُ العيـونُ تواضـعتْ لإجلالِـهِ عـن أنْ تقـلَّ شـؤونها

عليهـا مـن الـرحمنِ نـورُ جلالـةٍ يُقصِّـرُ بالألحـاظِ أنْ تسـتبينَها

يخبر أنّ ممدوحَهُ لـه من الهيبـةِ والإجـلال مـا يجعل النـاظر إليـه إذا رآه يتواضـع بصـرُهُ إجـلالا ومهابـةً ، وفـي هـذا تعـالق وتنـاص مـع الفـرزدق (ت ١١٠هـ) حينما مدح يزيد بن المهلّب (من الكامل) [٢]:

وإذا الرجـالُ رأوا يزيـدَ رأيـتَهُمْ خُضُـعُ الرقـابِ نـواكسُ الأبصـارِ

فالمعنى مشترك في بيان حال النـاظرين من تواضـع العيون ، وخضـوع الرقاب ، لذلك الممدوح المهاب المُقدَّر .، وفي الشطر الثاني من البيت الثاني ذكر أنّ النظر يقصر عن وصفِ الممدوح واستبانة نور الجلالة ، وهذا تعالق ، وكأنّ المصحفي نظر إلى قول عمرو بن العاص – رضي الله عنه – حين قال : " وما كان أحد أحبَّ إليَّ من رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم – ولا أجل في

(١) الحاجب المصحفي ، ٦٤.

(٢) ديوان الفرزدق ، ص ٢٦٦.

عيني منه ، وماكنتُ أُطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلتُ أنْ أصفَهُ ما أطقتُ ؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه ...[١]" ، فالمصحفي زاد في بيان تلك الهيبة وذلك الجلال .

يقول المصحفي معتذرا (من الطويل) [٢]:

وأجمع كلُّ الناس أنَّك قاتلي وربَّت ظنٌّ ربُّهُ فيه كاذبُ

وكأنَّه يشير إلى قول كعب بن زهير (ت ٢٦هـ) في البردة (من البسيط) [٣]:

يسعى الوشاةُ بجنبيها وقولهمُ: إنَّك يابن أبي سُلمى لمقتولُ

يذكر المصحفي إجماع الناس على أن طالبه سوف يقتله مخاطبا إياه مخاطبة القريب إما القرب الحسي أو القرب السلطوي واستطاعة الوصول (أنَّك) ، ثم شكك في قولهم طمعا في العفو فقال (وربَّت ظنٌّ ربُّهُ فيه كاذبُ !) أما كعب فبين سعي الوشاة والمغرضين والحاقدين وترديدهم له قولا واحد (إنَّك يابن أبي سُلمى لمقتولُ) ؛ زيادةً في تعذيبه النفسي موجهين الخطاب إليه (إنَّك) مؤكدين مصيره ، وهو القتل .

ثم يصف المصحفي الحاجبَ المنصور في القصيدة نفسها بقوله [٤]:

فما زال سباقًا إلى كلِّ خصلةٍ يسيرُ بها في الأرضِ ماشٍ وراكبِ

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الحاجب المصحفي ، الساوري ، ص ١٨.

(٣) ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، دراسة وشرح د. مفيد قميحة ، دار الشواف ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص ١١٤.

(٤) الحاجب المصحفي ، الساوري استدراك وتتمة ، ص١٨.

وفي هذا تناص و تعالق مع قول أبي نواس (ت ١٩٨هـ) [١]:

فاقذف برحلك في جنابِ خليفةٍ سبَّاق غاياتٍ بها لم يُسبقِ

المصحفي يمدح الحاجب المنصور طلبا للعفو مبينا ما يمتاز به المنصورين أبي عامر من خصال وصفات يسير الركبان بها في الأرض ، وخصاله كثيرة ، والعفو منها وهو مطلب المصحفي ، أما أبو نواس فهو مادح كذلك إلَّا أنَّ النوال والعطاء مطلبه .فالمصحفي ذكر خصالا في المنصور وتكون فيه وفي غيره ، أما أبو نواس فوصف ممدوحه بأنّ له غاياتٍ ، وهو لها سبّاق ولم يُسبق في نيلها .

ويقول المصحفي مادحا (من الطويل) [٢]:

جمَعتَ ليَ الآمالَ طيِّبةَ الجنا فلم تُبقِ لي أُمنيَّةً أستزيدُها

يمدح مبينا كرم الممدوح الذي جمع له الآمال ولم يترك للشاعرِ أمنيةً إلَّا أناله إياها ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام (ت ٢٣١هـ) حين قال [٣]:

جُمعت لنا فِرقُ الأماني منكمُ بأبرَّ من روح الحياةِ وأوصلِ

فالأماني المفرق جمعت له من ممدوحه .

ويصف المصحفي وقع السهام بصيِّب البَرَد ، يقول (من الكامل) [٤]:

وكأنَّ مُستنَّ السِّهامِ على الـ ـباقين منهم صَيِّبٌ بَرَدُ

(١) ديوان أبي نواس ، أحمد الغزالي ، ص ٤٠٠.

(٢) الحاجب المصحفي ، الساوري استدراك وتتمة ، ص ١٩.

(٣) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ٣/ ٥١.

(٤) الحاجب المصحفي حياته وآثاره ، ص٤٦. ، والصيِّب : السحاب ذو الصوب ، أي المطر .

وفي قوله (صَيِّبٌ) نظر إلى قوله تعالى :" أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ[١]" . أي تنزل منحدرةً متتابعة تحمل العذاب والخوف .

ويقول في بيعة الحكم المستنصر (ت٣٦٥هـ) (من الطويل) [٢]:

أنـاف علـى الـدُّنيا بعـينٍ محيطـةٍ وقـال : ادخلـوا فـي أمنهـا وسـلامها

وفـي الشَّـطر الثَّـاني إشـارة إلـى قولـه –تعـالى– فـي حديثـه عـن الجنـة : (ادْخلُوها بسلام آمنين) [٣]" ، وفي هذا إشارة إلى قوة الدولة الأموية وسيطرتها وترحيبها بمن وفد إليها مع مافيها من جمال يشبه الجنة ونعيمها .

وهذه بعض التناصات التي أبرزت وجها من ثقافة المصحفي الدينية والأدبية والتي استطاع من خلال هذا الأسلوب الإحالة إلى نصوصٍ خارجيةٍ تتعالق مع نصِّه وتشيرُ إليها إثراءً لمعانيه المقصودة في نصِّه[٤] .

وقد أفاد الشَّاعرُ من القدرة التعبيرية للنصوص الغائبة التي هي في غالب الأحيان نصوص لها طاقات إيحائية وإبداعيَّة وذات تماسك نصيٍّ، ويتضح مدى ولوع المُصحفي بالتراث الشعريِّ على اختلاف عصوره؛ فقد اتَّسعت ذائقته الشعريَّة؛ لتضمين ما يراه مناسبا لتجربته، ومؤكدا لفكرته، والفضل في ذلك يرجع إلى الميراث العربي الخلاق.

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٩.

(٢) الحاجب المصحفي ، حياته وآثاره ، ص ٦٢.

(٣) سورة الحج ، آية رقم ٤٦.

(٤) هناك ذكر للجبال ترددت في الشعر العربي كجبل " يذبل " ص٦١ النص رقم ٣٨ ،وهناك نصوص منسوبة له ولغيره تختلف روايتها وعدد أبياتها كانص رقم ٧ ص ٤٦ ، والنص رقم ١٠ هو لعلي بن الجهم في ٣١ بيتا وعند المصحفي خمسة أبيات فقط ، والنص رقم ١٣ لابن فرج الجياني ، والنص رقم ٢٧ منسوب لابن هذيل ، وغيرها كثير لم يشر التحقيق إلى ذلك .

المبحث الثَّاني : المستوى المعجمي

يُعدُّ المستوى المعجمي أحد مظاهر التماسك النصي، بيد أنه يختلف عن مستويات التماسك السابقة، فلا يعد وسيلة تماسك شكلي كما في المستوى النحوي الشكلي، ولا يتم البحث فيه عن مرجعية أو عنصر مفترض، وإنما تتصف الوحدات المعجمية في ذاتها بالربط، إذ إن بعضها يفسر الآخر، ومن ثمّ لا تحتاج لأدوات رابطة تربط بينها. فـ"الكلمة في الخطاب الشعري باعتبارها كلمة مشحونة بدلالات متعددة المشارب: دينية ، ثقافية، اجتماعية، حضارية بصفة عامة، وليس فقط كلمة عادية تؤسس علاقة مباشرة تعيينية مع مرجعها، ومهما تعددت الآراء بصدد معجم الخطاب فإنها جميعًا تلتقي في ضرورة الانتباه إلى خصوصيته"(١).

أولا: (أ) التَّكرارُ المعجميُّ:

التّكرار لغةً: يعني في اللّغة إعادة الشّيء مرّةً بعد أخرى، جاء في المحكم والمحيط الأعظم: ((كرّر الشّيء، وكركره: أعاده مرّةً بعد أُخرى))(٢)، أي: إعادة الشّيء أكثر من مرّة.

وأمّا **اصطلاحًا**؛ فقد أعطى علماء النّصّ أهمّيّةً كبيرةً لمصطلح التّكرار؛ لكونه يعدّ مظهرًا من مظاهر التّماسك المعجميّ الّذي يؤدّي إلى سبك النّصّ وتماسكه، إذ يقوم ببناء شبكةٍ من العلاقات داخل النّصّ، وهو من الظّواهر الّتي تتّسم بها اللّغات عامّةً، واللّغة العربيّة خاصّةً، وللتّكرار مستوياتٌ متعدّدةٌ يتحقّق بها؛ مثل تكرار الحروف، والكلمات، والجمل، والفقرات، والقصص أو المواقف،

(١) لسانيات النص، محمد خطابي، ٢٥٤

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سِيدة المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج٦، ص٦٥٢.

كما في القرآن الكريم؛ لذلك أهتمّ به علماء العربيّة[١].

وعرّفه **ابن أبي أصبع** بأنّه تكرار " المتكلّم اللّفظة الواحدة باللّفظ أو بالمعنى " [٢]، فالتّكرار ليس شرطًا أنْ يأتي المتكلّم باللّفظة نفسها، فقد يأتي باللّفظ أو ما يدلّ عليه.

أمّا **محمد خطّابيّ**؛ فقد وَضَع حَدًّا للتّكرار، قال فيه: " هو شكلٌ من أشكال الاتّساق المعجميّ يتطلّب إعادة عنصرٍ معجميٍّ، أو ورود مرادفٍ له، أو شبه مرادفٍ، أو عنصرًا مطلقًا، أو اسمًا عامّاً"[٣].

وفي ضوء ذلك يمكن أن نخرج بالتّعريف الآتي: التّكرار هو إعادة اللّفظ، أو شبه اللّفظ، أو مرادفه، أو مدلوله، أو بعضٍ منه، أو اسمٍ عامٍّ له؛ ممّا يؤدّي إلى تماسك النّصّ وسبكه[٤].

قَالَ المُصحَفيُّ من بَحرِ (الطَّويلِ) مُستعطِفًا للخَلِيفَةِ؛ مَخَافَةَ قَتلِهِ بِفِعْلٍ لَم يَتَعرَّض الشَّاعِرُ لِذِكرِهِ فِي القصيدَةِ، يبدُو مِن شِدَّةِ استِعطَافِهِ للخَلِيفَةِ مَدَى شناعَتِهِ[٥]:

فَرَرتُ فَلَم يُغنِ الفرارُ وَمَن يَكُن ... مَعَ اللهِ لَم يُعجِزْهُ فِي الأرضِ هَاربُ

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفـرَارُ لِحالَــةٍ ... سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ

مِن جماليَّةِ النَّسجِ فِي تلك الأبياتِ صنيعةُ الشَّاعرِ بالنَّظْمِ مِن أوَّلِهِ إلَى منتهاهُ، إلَّا أنّ الجوانبُ الإبداعيَّةُ استوقفتْنَا لتحوّلاتِ الدلالةِ نتيجةَ اتِّساقِ النَّصِّ

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٦٢/١، والخصائص، ابن جني: ٥٣/٣، وارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ): ١١١٦/٣.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي أصبع: ٣٧٥.

(٣) لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٤.

(٤) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي، نوال بنت إبراهيم :٢٢.

(٥) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٨.

والتحامِ مفرداتِهِ وتراكيبِهِ؛ بغرضِ إبرازِ فحوَى الخطابِ الشِّعريِّ جليًا بِواسَطةِ الدلالاتِ المعنويَّةِ المُتعلِّقةِ بنصيَّةِ تلكَ المعانِي، وذلِكَ تأسيسًا عَلَى اتِّساقِ المفرداتِ والتَّراكيبِ المُوظَّفةِ فيهِ.

فَها هوَ يَعمَدُ إلَى تكريرِ لفظِ (**الفرار**) في الشَّطرِ الأوَّلِ مِن البيتِ الأوَّلِ، مرَّةً بالفعليَّةِ الماضويَّةِ مِن قولِهِ (فررتُ) ومرَّةً بالاسميَّةِ مِن قولِهِ (الفرار)، وكانَ مقدورًا لَدَيهِ الاقتصارُ علَى إعادَةِ ضَميرِ (الفرارِ) عليهِ مِن غيرِ عَمْدٍ إلَى تكرارِ اللفظِ بعينِهِ، إلَّا أنَّ تكرارَه جلَّى عن قيمَةٍ دلاليَّةٍ جديدةٍ تنضافُ إلَى تلكَ القيمَةِ الأصيلَةِ مِن الابتداءِ بذكرِهِ، حيثُ أرادَ التنبيهَ علَى أنَّ فرارَهُ الأوَّلَ هو هو فرارُه الثَّانِي، فذكرَهُ مُكرَّرًا علَى سبيلِ التَّوكيدِ إشعارًا بأهميَّةِ المُكرَّرِ.

ومن التكرار تكرار بعض أجزاء الكلمة كما في قوله (من السريع) [١]:

فاجـــأني كـــانونُ بـــالوردِ فزادنـــي وجـــدًا علـــى وجـــدِ

وردُ الغُلـــى أهـــدى لنـــا وردةً يـــا حبـــذا الـــوردُ مـــن الـــوردِ

إذ كرر " الورد " خمس مرات ، ما بين مفردة ، وجمع ، ونكرة ، ومعرفة مبينا مكانة المُهدي إذ وصفه بورد العلى مردفا ذلك بإعجابه بالهدية من ذلك المُهدي .

ومثله تكرار لفظ " نفس " في قوله (من الطويل) [٢]:

أحِـــنُّ إلـــى أنفاسِـــكم فأظنُّهـــا بواعثَ أنفاسِ الحياةِ إلـى نفسـي

إن توزيع لفظة" أنفاس" بين شطري البيت مع تغيير في حالتها (الجمع والتعريف بضمير الجمع ، والجمع مع التعريف بالإضافة بالاسم الظاهر ، والمفرد مع الإضافة بياء المتكلم) أثرى النغم وربط شطري البيت مع بعض

(١) السابق ، ص ٤٨.

(٢) السابق ، ص ٥١.

معنويا وتركيبيا.

كما كرر المصحفي حرف " الراء" وذلك في قوله (من البسيط)[١]:

بـادرْ فـإنّ نـذير الغيـث قـد نـذرا مُجـدِّدًا لسـرورٍ كـان قـد دثـرا

جاء صوت " الراء " ست مرات ، وفي هذا إعادة للنغم ، وربط صوتي بين الألفاظ .

<u>للتَّغريضِ:</u>

ومع كونِهِ لم يضع عُنوانًا رئيسًا بوصفِهِ عتبةَ النصِّ الأُولَى المُوصِّلَةِ لفهمِ المغزَى من النصِّ، مِن خلالِ الرَّبطِ بينَهُ وبينَ مضمُونِ النَّصِّ، إلَّا أنَّهُ تَذَرَّعَ بِالمعانِي الثَّانويَّةِ والدلالاتِ الإجماليَّة التي بَرهَنَ علَى مدلولِ ما يُرادُ مِن النصِّ بِواسطتِهَا مِن مُبتدئِ النَّظمِ، فكرَّرَ (الفرار) فعلًا واسمًا ؛ لِبيانِ الغرضِ مِن النصِّ، ولربطِ أوَّلِهِ بتَالِي أوَّلِهِ وبختامِهِ، فجعلَ من الفعلِ ماضويًا مُثبتًا، ومن مُكَرَّرِهِ اسمًا منفيًا ليدلَّ بذلِكَ علَى أنَّهُ _معَ تحقُّقِ فرارِهِ_ لَم يغنِ عنهُ هذا الفرارُ؛ لِقدرةِ مَن فرَّ منهُ علَى الإتيانِ بهِ أيًّا ما كانَ، فالتَّغريضُ الذي ساقَهُ الشَّاعرُ في هذا النصِّ يُمثِّلُ قيمةً خطابيَّةً تُبرِزُ غرضَ كُلِّ بيتٍ علَى حدةٍ، كما أبرزتْ الغرضَ العامَّ من النَّظمِ .

ونَظَمَ تِلكَ الأبياتِ فِي امتِداحِ الخلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ الله ، بِمُناسبةِ ذِكْرَى بِنائِهِ لِلقَصرِ الَّذي بَنَاهُ فَي مَدينَتِهِ الَّتي أرساَهَا بِالقُربِ مِن (سَرقسطةَ) يقول عَلَى بَحْرِ (المُتَقارِبِ) [٢]:

أَيَـا زَهـرةَ المَجـدِ والمَكرُمَـاتِ وَيَـــا عَلَـمَ الفَخـرِ والمَـأثُراتِ

(١) السابق ، ص ٤٩.وانظر تكرار حرف "الميم" في النص رقم ٣٦ ، ص ٦٠، وتكر النداء " يا " و" أيا " خمس مرات في ص ١٩ من التتمة والاستدرك .

(٢) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٩.

وَ يَا شَبَهَ البَدرِ فِي المُدجِنَاتِ وَيَا خَلَفَ الغيثِ فِي المُمْحِلاتِ
وَ يَا ثَامِنَ الخُلَفَاءِ الَّذينَ حَيُوا بِمَسَاعِيهِ بَعدَ المَمَاتِ
وَمَن تَنجَلِي مُظلِمَاتُ الأُمُورِ لِأوجِهِ آرائِهِ المُشْرِقاتِ
وَمَن تَرَكَ الدَّهرُ إحسَانَهُ يَرُوحُ ويَغدُو بِلَا نَائِبَاتِ
أَجَلَّكَ أن تَحتَوِي بِالظُّنُونِ وأَعلَاكَ أن تَنتَهِي بالصِّفاتِ

وَمِن النَّماذجِ الشِّعريَّةِ في دِيوانِ هذا الشَّاعرِ، الَّتي اجتمَعَتْ حَولَ تماسُكِ بِنائِها النصيِّ أكثرُ الآلاتِ المُؤدِّيةِ إلَى سلْكِ مَسْلَكِ ذلِكَ التَّماسُكِ، واتِّخاذِ سَبِيلِ ذلِكَ التَّناسُجِ بِمُختَلَفِ أدواتِهِ المُندرِجَةِ تَحتَ المُستَوييِنِ الرِّئيسَينِ الاتِّساقيِّ الشَّكليِّ، والتَّناسُجِيِّ الدَّلاليِّ ذلكَ النصُّ الذي اخترتُهُ بِعنايَةِ ؛ لفضِّ بَكَارةِ عُذرَتِهِ، وإفراغِ مخزونِ جُعبَتِهِ، وهوَ مِن النّصُوصِ المَدحيَّةِ قَويَّةِ النَّسجِ، مُحكَمَةِ البِناءِ .

لَا يخفَى عَلَى ذِي عَينَيْنِ مَا احتَفَّ نصَّ الشَّاعرِ مِن تِكرارٍ مُعجميٍّ لحرفِ النِّداءِ (يا) لأربعِ مرَّتٍ مُتواليات في البيتَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، في عَقِب نداءِ الممدوحِ بِحرفِ النِّداءِ (أيا) في صدرِ البيتِ الأوَّلِ، كما لَم يَغِب علَى حَصِيفٍ أنَّ تصديرَ مقطَّعَةٍ مَدحيَةٍ بِحرفِ نِداءٍ والمُنادَى نعتٌ صريحٌ لِلمَدوحِ لَا يُعَبِّرُ إلَّا عن مُنتَهَى الإعزازِ لِلمَمدوحِ وبالغِيَّةِ رفعَتِهِ لَدَى مادِحِهِ .

ومَعَ تِكرارِ حرفِ النِّداءِ باعتبارِهِ مُفردَةً لَها مِن الدَّلالةِ القويَّةِ في إظهارِ ما للمَمدوحِ مِن عظَمَةٍ فِي نفسِ المادحِ، خاصَّةً معَ إدخالِ هذا الحرفِ علَى نعتِ الممدوحِ لَا على اسمِهِ الصَّريحِ أو لَقَبِهِ، مَا يَدلُّ عَلَى رغبَةٍ قويَّةٍ فِي حَصرِ تلكَ النُّعوتِ التي أضافَها إليهِ علَى سبيلِ التَّخصيصِ، فكأنَّهُ لَا يُعرَفُ إلَّا بِتلكَ النُّعوتِ كما لا تُعرَفُ تِلكَ النُّعوتُ إلَّا بِهِ، وإنَّ مِن دلالاتِ تِكرارِ حرفِ النِّداءِ فِي مثلِ هذِهِ التَّراكيبِ – والمُنادَى واحدٌ – (أيَا زهرَةَ المَجْدِ، ويَا عَلَمَ الفَخْرِ، ويَا شَبَهَ البَدْرِ، ويَاَ خلَفَ الغَيْثِ، ويَا ثَامِنَ الخُلَفَاءِ) شِدَّةُ التِصاقِ تلكَ النُّعوتِ المُنادَاةِ بِمنعوتِهَا (الخَليفةِ) وانحصارِهَا فِيهِ .

ثالثًا : اتِّسَاقٌ مُعجَميٌّ بالتَّرادُفِ:

التّكرار **بالتّرادف أو شبه التّرادف:** ويسمّى التّكرار غير الصّريح أيضًا، ويعمد إليه المتكلّم في خطابه؛ لأنّ الكلام يقتضي وجود حركةٍ بين عناصر الخطاب لا تتكرّر بذات الصّيغ، بل بصيغٍ مماثلةٍ نحويًّا، ومغايرةٍ شكلًا، وأسماه الدّكتور محمد محمد يونس بـ (التّرادف الإشاريّ) (١).

ويعد الترادفُ أو شبه الترادف وسيلةً من وسائلِ الربط المعجمي، يعمل على امتداد المعنى داخل النص بوصفه شكلًا من أشكال التكرار. ويعد "وسيلة أخرى من وسائل تماسك النص عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك، ويرجع استخدام الترادف بدلًا من التكرار المباشر للكلمة إلى نفي الشعور بالضجر والملل، إذ إن المرادف المستخدم يضفي على المحتوى تنوعًا"(٢).

يقول من(**بحر الطويل**) (٣):

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفـرَارُ لِحالَــةٍ سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ

ولَـو أنَّنِـي وُفِّقتُ للرُّشدِ لَـم يكُن وَلَكِـنَّ أَمـــــرَ اللهِ لَا بُـدَّ غَالــبُ

وقَد حَمَّلَ الشَّاعرُ بعضَ أبياتِ نظمِهِ في تلكِ القصيدةِ ترادُفًا وَثَّقَ بِهِ العلاقاتِ بينَ ما هوَ آخِذٌ فيهِ مِن معانٍ سابقةٍ بالَّتِي تَليهَا؛ فتراهُ يُوظِّفُ (أمرَ اللهِ) مِن قولِهِ : "... ولَكِنَّ أَمْرَ اللهِ لَا بُدَّ غَالِبُ " بِوصفِهِ مُرادِفًا لِـ (المَوتِ) مِن قَولِهِ : "... سِوَى حَذَرِ المَوتِ الَّذِي أنَا رَاهِبُ " فجَمَعَ بينَ أبياتِ النَّظمِ وصَهَرَهَا فِي تَنُّورٍ واحِدٍ؛ ما جعَلَ القصيدَةَ مُتماسِكَةَ التَّركيبِ مُتَّسِقةَ المُفردَاتِ .

ونَظَمَ تِلكَ الأبياتِ فِي امتِدَاحِ الخَلِيفَةِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ، بِمُناسَبَةِ ذِكْرَى

(١) ينظر: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد يونس، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٤٠٤.

(٢) علم لغة النص، عزة شبل ، ص ١٠٧

(٣) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة ، ص١٨.

بِنائِهِ لِلقَصرِ الَّذي بَنَاهُ فَي مَدينَتِهِ الَّتي أرساها بِالقُربِ مِن (سَرقسطةَ) يقول من بَحْرِ (المُتَقاربِ) (١):

أَيَـا زَهـرةَ المَجـدِ والمَكرُمَـاتِ وَيَـــا عَلَـمَ الفَخـرِ والمَـأثُراتِ
وَ يَا شَبَهَ البَدرِ فِي المُدجِنَاتِ وَيَا خَلَفَ الغيثِ فِي المُمْحِلاتِ
وَ يَـا ثَـامِنَ الخُلَفَـاءِ الَّـذينَ حَيُـوا بِمَسـاعِيهِ بَعـدَ المَمَـاتِ
وَمَـن تَنْجَلِـي مُظلِمَـاتُ الأُمُـورِ لِأوجِـــهِ آرائِـــهِ المُشْـرِقاتِ
وَمَــن تَــرَكَ الــدَّهرُ إحســانَهُ يَــرُوحُ ويَغـدُو بِـــلَا نَائِبَــاتِ
أَجَلَّــكَ أن تَحتَــوِي بِــالظُّنُونِ وأَعــلَاكَ أن تَنتَهِــي بالصِّــفاتِ

ولَو عَمَدْنَا إلَى إيقاعِ معنَى التَّرادُفِ بِمفهومِهِ المُعجَميِّ المُستَعمَلِ فيهِ في لُغَةِ العَربِ بعيدًا عن الاصطلاحِ، بِسلْخِهِ عمَّا اصطلحَ بِهِ علَيهِ اللِّسانِيُّونَ، لَمَا وجدْنَا إلَى ذلكَ سبيلًا، أمَّا هُنا فالعَهدُ بتوظيفِ مُصطلَحِ الإرادفِ أن تَكونَ بعضُ المُفرداتِ رِدفًا لِبعضٍ ، لَا بالنَّظَرِ إلَى اتِحادِ مَدلُولِهَا بل بالنَّظَرِ إلَى اتِّحادِ مَرجِعيَّتِهَا، وقد سَاقَ الشَّاعرُ في تلكَ القِطعَةِ عددًا مِن المُترادِفاتِ – بِحَسْبِ مَا قدَّمْنَاهُ – في تراكِيبِهِ المُستعمَلَةِ مدحًا في الخليفَةِ، فأعادَهَا جَميعًا عَلَى هذا المَمدُوحِ مِن خلالِ تسليطِ الضَّوءِ علَى جَوانِبَ عِدَّةٍ مِن خِصالِهِ وخَلائِقِهِ، فتَعدَّدتِ المُترادِفاتُ بِذلِكَ مُجَلِّيَةً عن أهمِّ ما اتَّسَمَ بِهِ الممدُوحُ مِن الصِّفاتِ .

وهُنا تَحتَّمَ علينَا الإبانَةُ عن مظهَرِ التَّفاوتِ بينَ الاستبدالِ والتَّرادُفِ، فالاستبدالُ إحلالُ مفردٍ مكانَ مُفرَدٍ أو جُملَةٍ محلَّ جُملَةٍ علَى سبيلِ الوحدَويَّةِ بِحيثُ لو حُذِفَ المُبدَلُ كانَ فِي المُبدَلِ منهُ الكِفايةُ، بَينَمَا اختَلَفتِ المَسألَةُ فِي التَّرادُفِ اختِلافًا بَادِيًا؛ إذ لا يُمكِنُ الاستغناءُ بالفرعِ عنِ الأصلِ، وحيثُ تمظهَرَ الغرضانِ في تَوظيفِ تلكَ المُناديات لَدَى الشَّاعرِ فِي هذهِ القِطعَةِ جازَ لَنَا حَمْلُ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٩.

ذَلِكَ التِّكرارِ فِي تلكَ المُنَادَياتِ علَى الاستبْدَالِ، والتَّرادُفِ معًا .

يقول من(بحر الطويل) [١]:

أَعِدْ نَظَرًا وَاستَوقِفِ الطَّرْفَ مُنعِمًا تَجِـد كَلِفًـا صَـبًّا بِحُبِّـكَ مُغْرَمًـا

ثُمَّ لَم يكُن النَّاظِمُ لِيُفَوِّتَ عَلَى نفسِهِ فُرصَةَ إردافِ بعضِ ما تعلَّقَ بقضيَّةِ استعطافِهِ لِمحبُوبِـهِ مِن نُعوتٍ اختصَّ بِهَا نفسَهُ على طريقَةِ الاستجداءِ؛ لِينزِلَ محبُوبَه عِندَ مُرادِهِ فَيَلِينَ لَهُ قلبُهُ، فَأردَفَ بعضَ تلكَ النُّعوتِ بعضًا لِيتألَّفَ بِهَا قلب مَن أحبَّ، فجَاءَ بِـ :

(كَلِفًا، وَصبًّا، ومُغرَمًا) عَلَى التَّتابُعِ مُشعِرًا بِتفرُّقِ مُوصُوفِهَا مِن جِهَةِ أنَّهَا تتفاوتُ فِـي التَّعبِيرِ عن دَرَجـةِ الحُبِّ، عَلَـى حِينِ أنَّهَا لِموصُوفِ واحدٍ لا تنفكُّ تُعبِّرُ عن مُختَلَفِ أحوالِهِ معَ مَن أحبَّ، فكانَ لِهذا التَّرادُفِ موضِعُهُ مِن الرَّبطِ المُعجَميِّ بينَ هذِهِ المُترادِفاتِ المُعبِّرَةِ عن حالِ هذا المُحِبِّ وبعضِهَا مِن جانِبٍ، وبينَهَا وبينَ المنعوتِ بِهَا وهو الشَّاعرُ مِن جَانبٍ آخَرَ، وذلِكَ الإردافُ يستَوقِفُ المُتَلقِّي فَورَ تَلقِّيهِ لِهذا النصِّ مِن ذلكَ البيتِ :

أَعِدْ نَظَرًا وَاستَوقِفِ الطَّرْفَ مُنعِمًا تَجِـد كَلِفًـا صَـبًّا بِحُبِّـكَ مُغْرَمًـا

(ب) المصاحبة المعجمية

تُعدُّ **المصاحبة المعجميـة** من وسائل السبك المعجمي، التي تعمل على تماسك أجزاء النص وترابطه ، وهى ظاهرة لغوية شاعت في جميع اللغات؛ تبعًا لثراء العربية وقدرتها على الاشتقاق اللغوي.

ويراد **بالمصاحبة** " الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها، أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوى ما، مثل البقرة مع اللبن

(١) نفسه ، ص٢٢. وانظر الترادف في (الطلاقة والبِشر) ، ص ٤٨، ٥٥(ألطى وأعلق) ، ص ٥٦ (أذكى وأعبق)

والليل مع الظلمة"[١].

ففي اللسانيات الحديثة تأكد مفهوم المصاحبة المعجمية بأنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة"[٢]، أو أنه " ورود مفردات معًا على نحو مطرد"[٣].

أهمية المصاحبة المعجمية :

تعد أهمية المصاحبة المعجمية في الترابط النصي بتعدد أنواعها وأنماطها داخل النص، فلا شك أن رصف المفردات المتصاحبة يسهم في تكثيف المعنى الداخلي للنص، ومن ثم يحقق الربط المعجمي للنص. فالكلمات تأخذ معناها من خلال مصاحبتها لكلمات أخرى؛ لذا تتضح أهمية التحليل الوصفي في "أهمية المعنى المعجمي المراد لأنه يوقفنا على التجمعات التي ترد فيها الكلمات أو بعبارة أخرى، معرفة السياقات اللغوية التي يحتمل استخدامها فيها"[٤]. ومن ثمّ يصبح التحليل النصي قاصرًا إذا لم يراعِ المناسبة بين الكلمات وسياقاتها.

(١) نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد، ط ١، عالم الكتب الجديد، الأردن، ٢٠١٠م، ص٢٨٩

(٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص١٠٧

(٣) التماسك النص في الدرس اللغوي، عيسى جواد مقبل، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ج ١، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٢٧٣

(٤) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي ، دار المنارة، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م، ص٥٣

- **أنواع المصاحبة المعجمية**

١- التضاد

٢- التلازم الذكري.

- **التَّضَادُّ :**

وهو نوع من العلاقات بين الألفاظ ومعانيها التي ربما تكون أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فذكر معنى من المعاني يستدعي ذكر ضده ، فذكر (البياض) – مثلا – يستحضر ذكر (السواد) في الذهن، فالتضاد من أوضح الأشياء في تداعي المعاني. (١)

وقد جَلَّتِ المُضادَّةُ فِي استخدامِ الشَّاعرِ لَهَا فِي غيرِ ما مَوضعٍ عَن قُوَّةِ تَماسُكٍ، وإحكامِ نَسْجٍ بينَ عناصرِ النصِّ، ما جَعلَ الخِطابَ الشِّعْريَّ مَكينًا شَديدَ التَّرابُطِ، وقد وَقعَ لَهُ ذَلِكَ فِي قَولِهِ من (بحرِ المُتقارب) (٢):

وَ يَا شَبَهَ البَدرِ فِي المُدجِنَاتِ وَيَا خَلَفَ الغيثِ فِي المُمْحِلاتِ

وَ يَا ثَامِنَ الخُلَفَاءِ الَّذِينَ حَيُوا بِمَسَاعِيهِ بَعدَ المَمَاتِ

وَمَن تَنجَلِي مُظلِمَاتُ الأُمُورِ لِأوجِهِ آرائِهِ المُشْرِقاتِ

فقد سعى لِإحكامِ نسجِ النصِّ في تلك الأبياتِ، وفي التَّراكيبِ التي أوقعَ فيهَا التَّضادَّ بينَ (البدرِ، والمُدجِنَاتِ) و (الغَيثِ، والمُمحِلَاتِ) و (حَيُوا، والمَمَات) و (مُظلِمَات، والمُشْرِقَات) فانعَكَسَ هذا بِدَورِهِ علَى شَدِّ بعضِ أجزاءِ هذا النَّصِّ بِبَعضٍ مِن طَريقِ التَّنافُرِ بينَ تلكَ المُفرداتِ وبعضِهَا لِيجمعَ بِهذا التَّضادِّ بينَ طَرَفَي التَّركيبِ المَتنافِرَينِ واضِعًا تَصَوُّرًا تَفارُقيًّا في قالِبٍ واحِدٍ يُؤدِّي وظيفَةَ

(١) العربية وعلم اللغة الحديث ، داوود محمد محمد ، دار غريب ، القاهرة ، (د . ط) ، ٢٠١٠م، ص ١٠٩

(٢) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص١٩.

المُتآلِفاتِ، فَكانَ مُؤَدَّاهُ إلَى تعزيزِ المعنَى وتقويَةِ الرَّوابطِ بينَ الأضدادِ، وإثراءِ مَضمُونِ الخِطابِ الشِّعريِّ، وتَنويعِ التَّراكيبِ المُعجَمِيَّةِ – تَرادُفًا، وتغايُرًا، وتضَادًّا– .

ومن اتِّسَاق التَّضَادِّ قوله عَلَى نَغَمِ بَحْرِ الطَّويلِ، حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ[١]:

عَلَى أَيمَنِ الأَوقاتِ كَانَ وَفِي أَيمَنِ السَّاعاتِ كَانَ

ولَعَلَّ مَا أعانَ عَلَى إحداثِ هذا النَّوعِ مِن التَّماسُكِ النَّصيِّ، وسَاعَدَ عَلَى اتِّساقِ أبنيَةِ الخِطابِ الشِّعريِّ العامِّ مِن بِدايَةِ النصِّ إلَى نِهايتِهِ، هذه العَمَليَّةُ الجُزئيَّةُ الَّتي أسهمَت فِي دَعمِ بِناءِ النصِّ عُمومًا، إذ عارضَ الشَّاعرُ بينَ (ارتِحَالُكَا) في عروضِ الشَّطرِ الأوَّلِ مِن البيتِ الأوَّلِ مِن القِطعَةِ، و(احتِلاَلُكَا) مِن ضربِ الشَّطرِ الثَّانِي مِن البيتِ نِفسِهِ، هذهِ المُعارضَةُ الَّتِي وقعتْ مِنَ النَّصِّ مَوقعَ الطِّباقِ البلاغيِّ المُوجَبِ بينَ مُفردتَينِ مُتضَادَّتَيْنِ يجمعُ بينَهمَا ذلِكَ التَّنافُرُ التَّصويريِّ الَّذي شكَّلتْهُ المُفارقةُ اللُّغويَّةُ فِي أجلَى صُوَرِهَا، نتيجةَ الحذفِ والتَّقديرِ بتعَلُّقِ الجارِّ مع مجرُورِ "عَلَى أَيْمَنِ ..." بِالخَبَرِ المَحذُوفِ المُقدَّرِ بِـ(كائن) أو ما فِي معنَاهُ، مِن قَولِهِ :

عَلَى أَيمَنِ الأَوقاتِ كَانَ وفِي أَيمَنِ السَّاعاتِ كَانَ

ليأتِيَ (ارتِحَالِكُا) فِي محلِّ المُسنَدِ إليهِ المُحكومِ عَليهِ باليُمنِ، فِي الوقتِ الذي وقعَ فيهِ كذلِكَ مُتعَلَّقِ الجارِّ " فِي أَيْمَنِ السَّاعاتِ..." المُحذُوفِ المُقَدَّرِ بِـ (كائن) أو ما فِي معناهُ، خبرًا عَن اسم كان " ...احتِلَالُكَا" أو بتقديرِ تعلُّقِ الجارِّ معَ مجرورِهِ " فِي أَيْمَنِ السَّاعاتَ..." بِـ(كانَ) مِن قولِهِ : "كَانَ احتِلَالُكَا" بِعَدِّ (كَانَ) تَامَّةً بِمعنَى (وقعَ، أو حَدَثَ)، وعَلَى كُلٍّ فَإنَّ المُطابَقَةَ بينَ ذَيْنِ المَعنَيَيْنِ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

قد أحدثَت تصوُّرًا بعيدَ المرمَى سَعَى مِن خِلالِهِ الشَّاعرُ إلَى تَتمِيمِ فائدةِ البيتِ والتَّنبيهِ علَى أنَّ الآتِي مِن أبياتِ النَّظمِ تَفصِيلٌ لِمَا أجمَلَهُ فِي البيتِ الأَوَّلِ، ليجعَلَ من هذه المُفارقةِ عُنصرًا داعِمًا لِغرَضِ التَّتمِيمِ والتَّكامُلِ بينَ مُجمَلِ البيتِ الأَوَّلِ ومُفصَّلِ ما وَلِيَهُ مِن أبياتٍ؛ فلا يُستغرَبُ ما سيَسُوقُهُ مِن تَفصيلٍ فِيهَا ولا يُحمَلُ عَلَى المُخالَفَةِ والتَّغايُرِ المُجرَّدِ عن الغرضِ الَّذي صاغَ فيهِ منظومَتَهُ، وفي هذا التَّعارُضِ أيضًا انزياحٌ بلاغيٌّ يشقُّ عَلَى غيرِ الرَّاسخِ فِي عُلومِ لُغةِ العَربِ بلُوغَهُ، ناهِيكَ عن أن يُوفِّقَ مِن خِلالِهِ بينَ هذيْنِ المُتعارِضَيْنِ بِحالٍ مِن الأحوالِ، حيثُ لا يسُوغُ اعتمادُ تكامُلِ واتِّساقِ البِنيةِ الكُلِيَّةِ للنصِّ بِقطعِ النَّظَرِ عمَّا أحدثَتْهُ جُزيئاتُ البِناءِ المَحدُودِ للعِباراتِ المُتفرِّقَةِ في كَنَفِ النَّصِّ؛ فالعِباراتُ المُكَوِّنَةُ لِعمومِ النصِّ والمُشَكِّلَةُ لمضمُونِ خِطابِهِ وتحدِيدِ نوعِ هذا الخِطابِ هي ما تُقيمُ بِناءَ النصِّ وتدعمُهُ .

يقول (من البسيط) [(١)]:

كم ليلةٍ بتُّ أطويها وأنشرُها ولا أرى في الذي أقضي بها حَرَجا

وصف حاله سابقا ، وهو يعطي نفسه هواها ، عبّر عن ذلك مكنّيا بالطي والنشر ، وما ذاك إلّا للثياب ، مبينا أنه لا يتحرج مما يفعله من أمور ، وقد أدى التضاد (أطويها وأنشرها) ترابطا معنويا مبنيا على المصاحبة بين تلك الألفاظ خدمةً للمعنى والخطاب الشعري .

٢- **التَّلازمُ الذِّكريُّ:**

ويُعنى به الربط بين العناصر المعجمية؛ نتيجة الظهور في سياقات

(١) السابق ، ص ٤٦.وانظر مثلا ص ٤٩ (الخير والشرا) ، ص ٥٢ (طول البلاد وعرضها) ، ص ٥٤(تغيب وتبدو) وفي التتمة ص ١٨ (ماش ، وراكب) ، ص ١٩ (يروح ويغدو) ، ص ٢٠ (بسط الأمور وقبضها).

متشابهة، وهو يقابل مصطلح (مراعاة النظير) في المصنفات البلاغية القديمة، ويعنى به الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد، بل على سبيل الملاءمة أو الوفاق، بحيث يقوى المعنى لكل منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى، وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة بين المعاني أيضًا(١).

انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ وَقَال المصحفي من (بحْرِ الطَّويلِ) (٢):

تَنَقَّلْتَ عَن دَارِ الشِّقَاقِ مُظَفَّرًا وَقَد صَالَ بِالمَخذُولِ فِيهَا صِيَالُكَا

ما لا بُدَّ مِن التَّنويه بهِ هُنا الإشارةُ إلَى أنَّ التَّلازمُ الذِّكريُّ بينَ كَلامَينِ لا يقعُ وحسبُ بينَ كلامَينِ متتابِعَينِ، بل قد يقعُ بينَ كلامَينِ مُنفصِلَينِ بينَهما قِيمَةٌ دلاليَّةٌ أو تعلُّقٌ نَحويٌّ، كما لَا بُدَّ مِن الإشارةِ إلَى أنَّ التَّلازمَ الذِّكريَّ غيرُ محصورٍ في التَّلازمِ النَّحْويِّ، والتَّلازمِ المُعجمِيِّ، والتَّلازُمِ الدِّلاليِّ، ومِن النَّوعِ الأوَّلِ – أعنِي التَّلازُمَ النَّحويِّ – الَّذي يُلتَجَأُ إليهِ وَفْقَ مَعَايِيرِ التَّقعيدِ النَّحويِّ وضوابطه ، مَا مَكَّنَ الرَّابِطَةَ بينَ عناصرِ الخِطابِ الشِّعريِّ الخاصِّ فِي البيتِ سالفِ الذِّكرِ، فَإنَّ اتِّصالَ الجُملَةِ الثَّانيةِ : " وقد صالَ بِالمَخذُولِ فِيهَا صِيالُكَا " بالجُملَةِ الأُولَى : " تَنَقَّلْتُ عَن دَارِ الشِّقَاقِ مُظَفَّرًا " اتِّصَالًا لُزُوميًّا نَحويًّا دَلاليًّا، لَا تَقومُ الأولَى فِيهِ قيامَهَا مِن دُونِ الثَّانيَةِ؛ فالثَّانيةُ بِمَنزِلةِ الخبَرِ اللازمِ عن الأُولَى نَزلَت مِنها مَنزِلَةَ الصِّفَةِ اللازمةِ لِمَوصُوفِهَا بِغيرِ انفِكاكٍ عنه .

وإنَّ ثَمَّةَ وَشيجةً مُؤَطِّرَةً للعِلاقَةِ بينَ جُملَةِ الحالِ المُنَوَّهِ بِهَا وصاحبِ تلكَ الحالِ، تلك الوشيجَةُ هي مَا اصطُلِحَ علَيهَا بِاسمِ التَّلازُمِ الدلاليِّ الذِّكريِّ، بِحسْبِ

(١) ينظر: أساليب البديع في القرآن، جعفر باقر الحسيني ، مؤسسة أبو ستان، ط ١ ، ١٤٢٩هـ، ص ٤٢١

(٢) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

مَا اختارَهُ لَهُ اللِّسانِيُّونَ مِن المَفاهيمِ المُعبِّرةِ عن حَقِيقةِ هذا الاتِّصالِ اللُّزوميِّ بينَ طَرَفَي كلامٍ مُختَلِفَيْنِ فِي الصُّورَةِ، تَجمَعُ بينَهُما دَلالَةٌ واحِدةٌ مُرادَةٌ بِذَاتِهَا؛ فإنَّ انتقالَ المَدلُوحِ عن دارِ الشِّقاقِ الَّتِي هي سَرقُسطةُ تَمَّ عَلَى الحالَةِ التي تَركَ فيهَا المخذولَ خلفَهُ فِي تلكَ المَدينَةِ صائلًا صيالَ الخلِيفَةِ احتماءً بِهِ وارتِكانًا إلَيهِ، وبالنَّظَرِ إلى العِلاقَةِ التي تربطُ بينَ هاتِينِ الجُملَتَينِ لا يُمكِنُ أن نجِدَ بينَهُما اتِّصالا تَركِيبيا إلَّا مِن خلالِ تلكِ (الواو) المُسمَّاةِ بِـ(واوِ) الحَالِ، ولَو كانَ التَّلازُمُ محصورًا فِي حَاجَةِ بعضِ المُفرداتِ إلَى بعضٍ، أو فِي قيامِ بعضِ التَّراكيبِ ببعضٍ علَى جِهةِ اللُّزومِ لمَا كَانَ لإحدى هاتَينِ الجُملَتينِ اتصالٌ بصاحبتِها، غيرَ أنَّ التَّلازمَ المَعنَويَّ الذي ربطَ بينَ هاتَيْنِ الجُملَتَينِ هو ما جعلَ للثَّانيةِ منهما شديدَ تعلُّقٍ بالأُولَى فَلزِمتْهَا لُزومَ المُضافِ للمُضافِ إليهِ؛ فأدَّيتَا معنًى واحدًا مُرادًا .

المبحث الثالث: المستوى الدلالي

أولا: العلاقاتِ الدَّلاليَّةِ بالشَّرطِ:

يقوم علم اللغة النصي بالبحث عن الوسائل التي تعمل على التماسك النصي، ومن ثم فإن "البحث في كيفية تماسك النص لا يقتصر فقط على دراسة وسائل الربط اللفظي، بل يتعداها إلى دراسة وسائل أخرى للتماسك، تتجاوز الوسائل الصوتية، والمعجمية، والنحوية إلى مستويات أعلى من التحليل كالمستوى الدلالي... أو ما يطلق عليه **(دي بوجراند) و(دريسلر)** مصطلح Coherence، وهو أحد المعايير السبعة للنصية"(١). وكل تلك المستويات تسهم في إعطاء النص سمة النصية والتماسك النصي.

يُعدُّ الشرط والجواب من العلاقات الدلالية التي اتكأ عليها المصحفي في شعره ؛ لما لها من قدرة دلالية على ربط أواصر النص والتحام أطرافه؛ إذ نوّع

(١) علم لغة النص (النظرية والتطبيق) ، عزة شبل، ص ١٨٤ .

الشاعر في استخدامه لأدوات الشرط المكوّنة للعلاقة.

يقولُ الشَّاعر من(بحر الطويل) (١):

فَـرَرتُ فَلـم يُغـنِ الفـرارُ وَمَـن يَكُـن مَـعَ اللهِ لَـم يُعجِزْهُ فِـي الأرضِ هَـاربُ

وَواللهِ مَـــا كَـانَ الفـرَارُ لِحالَـــةٍ سِـوَى حَـذَرِ المَـوتِ الَّـذِي أنَـا رَاهِـبُ

ولَو أنَّنِي وُفِّقتُ للرُّشدِ لَم يكُن وَلَكِـنَّ أَمـــــرَ اللهِ لَا بُـدَّ غَالــبُ

وقدَ ربَطَ الشَّاعرُ بينَ بعضِ عَناصرِ نظمِهِ وبعضِهَا بالشَّرطِ وجوابِهِ، لِيُرَتِّبَ بعضَـهَا علَـى بعضٍ ترتيـبَ الشَّـرطِ وجزائِـهِ لِيُـؤذِنَ المُتلقِّـي بِتَوقُّـف حُـدوثِ أحـدِ الفِعلَيْنِ علَى الآخَرِ، وقد نوَّعَ فِي استخدامِ الشَّرطِ وجَوابِهِ بينَ جازمٍ وغيرِ جازمٍ، ولكُلٍّ منهما دلالَةٌ مَنصوصٌ عليهَا عندَ النَّحْوِيِّينَ.

ومِن الجازمِ قَولُهُ : "... وَمَن يَكُن مَعَ اللهِ ** لَم يُعجِزْهُ فِي الأرضِ هَارِبُ "

حيثُ رتَّبَ عدم عَجزِ الطَّالبِ لِلهَارِبِينَ عَلَى شَرطِ كَونِهِ في مَعيَّةِ اللهِ، ذلِكَ أنَّهُ أرادَ الإخبارَ بِأنَّ الطَّالِبَ لَهُ علَى الحَقِّ وأنَّهُ هو عَلَى الباطِلِ المُوجِبِ لِعُقوبَتِهِ بالمَوتِ.

وَمِن غَيرِ الجَازِمِ قَولُهُ : " وَلَو أنَّنِي وَفِّقتُ للرُّشْدِ لَم يَكُن..." و (لَو) هُنا حَرفُ شرطٍ يُفيدُ امتناعَ الجوابِ لامتناعِ الشَّرطِ، وفيهِ معنَى التَّمنِّي، وجُملَتِهِ استئنافيَّةٌ بِحَسَبِ ما سَلَفَ، والعِبارةُ تنفِي تَوفيقَ الشَّاعرِ إلَى الرُّشدِ المَانِعِ لَهُ مِن العُقوبَةِ علَى ما قدَّمَ فِي حقِّ مَن توعَّدَهُ بالموتِ، الأمرُ الَّذي ترتَّبَ عليهِ الفرارُ والتَّوعُّدُ بالموتِ، فجاءَ المعنَى علَى ما قضت بِهِ دلالةُ السِّياقِ مُؤذِنًا بحقيقةِ ما ارتكَبَ النَّاظِمُ مِن الخطأِ الذي أوجبَ لَهُ العقوبَةِ، فانتَسَجَ البيتُ بِسوابقِهِ ولواحقِهِ نصيًّا.

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة ، ص١٨.

الرَّبطُ الدَّلاليُّ بالشَّرطِ والجزاءِ:

إنَّ مَن كَانَ حالُهُ معَ مَن أحبَّ التَّجاهُلَ والتَّغافُلَ لَم يَكُن فِي حاجَةٍ إلَى تنبِيهِهِ إلَى ذلكَ؛ فضلًا عن أن يَكُونَ فِي حَاجَةٍ إلَى التماسِ العطفِ منهُ بلفتِهِ إلَى هذا التّغافُلِ، إذ إنَّهُ لَو أصابَهُ ما أصابَ مَن كَلِفَ بِهِ لتحرَّكَ لَهُ راغمًا .

إذَن فما الدَّافعُ إلَى دعوةِ الشَّاعرِ حبِيبَهُ إلَى إعادةِ النَّظَرِ فِي حَالِهِ رَأفةً بِهِ وحنَانًا بِهِ، ويعلمُ مِن ظاهِرِ حالِهِ أنَّهُ لا يُحرِّكُهُ إلَيهِ شَيءٌ ممَّا يدفَعُهُ إليهِ بِقُوَّةِ الحُبِّ..؟!

والجَوابُ: هذا ما يبدُو ويَعلَمُهُ المُحِبُّ مِن ظاهرِ حالِ حَبِيبِهِ معَهُ، فِي الوقتِ الَّذي يُحدِّثُهُ فيهِ قلبُهُ بِأنَّ ما يُضمِرُهُ لَهُ مِن المَحبَّةِ فوقَ ما يُظاهرُ بِهِ أمَامَهُ وأمامَ النَّاسِ، ولولا هذا ما اندفعَ بِقُوَّةِ المحبَّةِ يطلبُ منهُ مُلتَمِسًا أن يَنظُرَ إليهِ بِعينِ المُحبِّ .

وقد بنى المُصحفيُّ خِطابَهُ الشِّعريَّ فِي ذلِكَ النصِّ علَى الشَّرطِ المُؤَكِّدِ لهذِهِ الحَقِيقَةِ عَلَى سَبيلِ الإقرارِ بِهَا، فقالَ مُستعتِبًا لا طالِبًا من (بحر الطويل)[1]:

أَعِدْ نَظْرًا وَاستَوقِفِ الطَّرْفَ مُنعِمًا تَجِد كَلِفًا صَبًّا بِحُبِّكَ مُغرَمًا

نكَّرَ (نَظَرًا) إيغالًا فِي الاستعتابِ والاستعطَافِ، وتأكيدًا علَى أنَّهُ راضٍ منهُ بالقليلِ، وقد علَّقَ الجزاءَ: " تَجِدْ كَلِفًا... " مِن جُملَةِ الطّلَبِ عَلَى الأمرِ المُفيدِ معنَى الالتِماسِ: " أَعِدْ نَظَرًا... " إشعارًا بِأنَّهُ لَو ظلَّ عَلَى تَمَنُّعِهِ لَكانَ المُحصَّلُ كالحاصِلِ، وأنَّ جديدًا لَن يَكونَ، وقد ربطَ بينَ كُلٍّ مِن الفِعلَيْنِ (أَعِد) و(اسْتَوقِفْ) بالواوِ العَاطفةِ تَنويهًا بِأنَّ وُقُوعَ الفعلِ (تَجِدْ) مرهونًا بوقُوعِ كِلَا الفِعلَيْنِ (أَعِدْ، واسْتَوقِف) بِلا فصلٍ ولا مُزايَدَةٍ عَلَى أنَّ حُدوثَ أحدِهما مُغنٍ عَن الآخَرِ فِي الدَّلالةِ والمَعنَى .

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢٢.

وقال فِي الوزيرِ أبي الحَسَنِ بن عُثمانَ على نَغَمِ بَحْرِ (الخَفِيفِ) [١]:

بِـأَبِي مَـن إِذَا تَبَاعَـــدَ عَنِّـي زَادَهُ الشَّـوقُ مِـن فُـؤادِي دُنُـوَّا

مَـا هَفَتْ بِـي رِيـحُ التَّذَكُّرِ إِلَّا رَاحَ قَلبِـي إِلَيـــهِ يَهفُـو هُفُـوَّا

لـم أَزَل حـانِي الجَوَانِحِ وَالقَلْـ ـبِ عَلَيـهِ مُـذْ بَـانَ عَنِّـي حُنُـوَّا

ثُمَّ إِنَّهُ لِمَزِيدِ رَبطٍ بينَ هذِهِ المُكوِّناتِ الدِّلاليَةِ جاءَ بالشَّرطِ غيرِ الجازِمِ (إذا) ليوثِّقَ بهِ بينَ عُنصُرَيه – الشَّرطِ، وجَوابِهِ – إِذَا تَبَاعَـدَ عَنِّي ** زَادَهُ الشَّوقُ... الـواقِعَينَ صِلَةً للموصـولِ الاسـميِّ (مَـن)، فسـاعَدَ فِـي مـزجِ كـلِّ تلـكَ العَناصـرِ وصـهرِهَا داخِـلَ سـياقٍ واحـدٍ مُشـتَمِلٍ عَلَـى عـدَدٍ مِـن العِبـاراتِ مُشـتَتَةِ المَعـانِي والمدلُولاتِ، فَأقامَهَا جَميعًا مقَامَ الجُملَةِ الواحِدَةِ المُؤَدِّيَةِ غرضًا واحدًا.

وَقَالَ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ الطَّوِيلِ، حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطَةَ[٢]:

وَإِنْ ذَهَبُـوا لِلشَّـرِّ فِـي الأَرْضِ تَرَاءَى لَهُم فِي كُلِّ أُفْقٍ مِثَالُكَـــا

وإِنَّ مِن أهَمِّ معاييرِ التَّماسُكِ النصِّيِّ وضوابطه المُقيمَةِ لِصُلبِ أيِّ نصٍّ أدبيٍّ، والمُمسِكةِ بجنباَتِهِ عن أن تزولَ مع أوَّلِ نظرةٍ مُلفاةٍ عليهِ مِن ناقدٍ حصيفٍ، اللُّزوميَّةُ المَادِيَّةُ الكائنةُ بينَ الشَّرطِ وجوابِهِ، عَلى شَريطةِ انضمامِهَا إِلَى مجموعةٍ أُخرَى مِن المَعاييرِ المُفضِيَةِ إِلَى سلامةِ النصِّ مِن التَّفكُّكِ والانحلالِ، وها نحنُ ذا بينَ يَدَي أداةٍ مِن أهَمِّ أدواةِ الاتِّساقِ النصيِّ الَّتي وظَّفَهَا الشَّاعرُ المُصحَفيُّ فِي كثيرٍ من نصوصِ دِيوانِهِ مُعلِّقًا عليهَا سَهْمَ الاتِّساقِ والاتِّصالِ بينَ نصوصِهِ حرصًا عَلَى تَماسُكِهَا، فقدَ وظَّفَ أدواتِ الشَّرطِ جازِمةً وغيرَ جازَمةٍ ليتَّسِقَ نصُّهُ بِهَا وتَلتَحِمَ مَدلُولاتُهُ مِن طَرِيقِ تعليقِ وقوعِ حَدَثٍ فِي جُملَةٍ علَى وقوعِ أو عَدَمِ

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢٤.

(٢) نفسه ، ص٢١.

وقوعِ حَدَثٍ فِي جُملَةٍ أخرَى، أو العكسِ .

وهُوَ هُنَا عَلَّقَ تَفرُّقَ أعداءِ المَمدُوحِ فِي الأرضِ، ومخافةَ الاحتيالِ عَلَى الخَلْقِ، وتَقهقُرَهم عن مُحاربَةِ أحَدٍ مِن النَاسِ عَلَى خوفِهِم مِن الخَليفَةِ الذي شرَّدَهم وأرخَى أسدالَ الرَّهبَةِ مِنهُ عَلَى قُلُوبِهَم ؛ فَأَنَّى ذهبُوا فِي الأرضِ ضَارِبِينَ فِيهَا للشَّرِّ مَذهَبًا ذهَبَ مَعَهم خوفُهم مِن لقائِهِ، فاتَّخذَ الشَّاعرُ مِن الجُملَةِ الشَّرطيةِ فِي البيت السابق مُنطلَقًا إلَى تحقِيقِ تلك الغايةِ فِي توطِيدِ العِلاقةِ بينَ جُملتَينِ تَامَّتَيِ البِناءِ استَغرَقَتَا بيتًا كَامِلًا مِن المُقطَّعَةِ، إضافَةً إلَى اشتمالِ صَدرِ البيتِ عَلَى حَرفِ العَطفِ (و) الَّذي شكَّلَ بِدَورِهِ فِي العِبارةِ وظيفةَ الاتِّساقِ والتَّكامُلِ بينَ البيتِ الذي هو فِيهِ والبيتِ الذي سَبقَهُ، فاكتَمَلَ المَعنَى المَنشُودُ مِن الخِطابِ فِي النصِّ .

ثانيًا : الإجمالُ والتَّفصِيلُ :

تعد علاقة الإجمال والتفصيل وسيلة مهمة تسهم في ترابط النصوص واستمراريتها، فهي "تعد إحدى العلاقات الدلالية التي يشغلها النص؛ لضمان اتصال المقاطع ببعضها عن طريق دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"(١).

وتعمل علاقة الإجمال والتفصيل على اتصال القضايا بعضها ببعض عندما تكون الدلالة الأولى مكثفة (الإجمال)، وتأتي الأخرى مفصلة لها (التفصيل)، حيث تكون دلالة التفصيل كدلالة التعريف(٢).

قَالَ المصحفيُّ عَلَى نَغَمِ بَحْرِ الطَّويلِ، حِينَ انتَقَلَ النَّاصرُ لِدِينِ اللهِ عَن سَرقُسْطةَ(٣):

(١) لسانيات النص ، ص ٢٧٢

(٢) الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، ص ٧٩

(٣) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

علـى أَيمَـنِ الأَوقـاتِ كَـانَ ارتِحَالُكَـا وفـي أَيمَـنِ السَّـاعاتِ كَـانَ احتِلالُكَـا

تَنَقَّلْـتَ عَـن دَارِ الشِّـقَاقِ مُظَفَّـرًا وَقَـد صَـالَ بِالمَخـذُولِ فِيهَـا صِـيَالُكَا

وَجَارَيتَ ذَا السَّيْفِ العَرِيضِ بِمِيتَـةٍ أَرَيتْ مُسْتَجِيشَ الشِّرْكِ كَيفَ اغْتِيالُكَا

وَأَقْفَلْـتَ عَـنْهُم وَالمَنَايَـا صَـوائِبُ تَسِـيلُ بِهَـا فِـي سَـاحَتَيهِم سِـجَالُكَا

إِذَا مَـا الكَـرَى رَامَ اغْـتِلَاقَ جُفُـونِهِم تَخَطَّفَـــهُ بِـالخَوفِ عَنْهـا خَيَالُكَـــا

وَإِنْ ذَهَبُوا لِلشَّرِّ فِـي الأَرْضِ مَذْهَبًا تَـراءَى لَهُـم فِـي كُـلِّ أُفْـقٍ مِثَالُكَـــا

لَا يُرامُ فَهمُ مَعانِي خِطابِ نصٍّ شِعريٍّ ما إلَّا بِمتابعةِ قراءَتِهِ وإدامَةِ النَّظَرِ فِي تَلَقِّيهِ، وربطِ كُلِّ أجزاءِ خِطابِهِ بِعضِهَا بِبَعضِهَا؛ حَتَّى يَتحصَّل للقارئ ما يَصبُو إليهِ منهُ، وفي الاقتصارِ عَلَى ما ظهرَ مِن ركائزِ تكوينِ النصِّ الشَّعريِّ اللُّغَوِيَّةِ قُصُورٌ قد يُوقِعُ في خَلَلٍ تَحلِيليٍّ لا يُستَدرَك.

وقدَّمتُ بِهذا التَّمهيدِ رغبةً فِي التَّنبيهِ بهِ علَى أنَّ تَصديرَ هذا النَّصِّ بِمثلِ مَا صدَّرَ بِهِ شَاعرُنَا قد يُوهِمُ عكسَ ما رَغِبَ الشَّاعرُ فِي إيرادِهِ مِن معانٍ تحمِلُهَا دقائقُ تَراكِيبِهِ اللُّغَوِيَّةِ والنَّحويَّةِ والدِّلاليَّةِ مهما حرصَ عَلَى المزجِ بينَهَا في خِطابٍ اتِّحاديِّ الغَرضِ والموضوعِ؛ فهو يبدأُ النَّصَّ بتهنِئَةِ النَّاظِمِ مُتَمَنِّيًا لَهُ اليُمْنَ عَلَى تَركِهِ مَدينَةِ (سَرقُسْطةَ) راغبًا لَا راهبًا، ولو لَم يكُن غَرضُ البيتِ مصحوبًا بذِكرِ تاريخيَّةِ الحَدَثِ لَمَا تَمَكَّنَّا مِن مَعرِفَةِ المَكانِ الَّذي ارتَحلَ مِنهُ، إلَّا أنَّ صفحَةَ التَّاريخِ لَم ترصُد لَنَا مكانَ احتِلالِهِ بعدَ رحيلِهِ مِن سَرَقُسْطَةَ، وذلِكَ قُولُهُ :

علَى أَيمَنِ الأَوقاتِ كَانَ ارتِحَالُكَا وفي أَيمَنِ السَّاعاتِ كَانَ احتِلالُكَا

وَلَا نِزاعَ فِي أنَّ دلالةَ البيتِ لا تتنافَى معَ مَا فَهِمنَاهُ مِنهُ، ولكنَّ أمرًا مَا يطرحُ نفسَهُ في صُورةِ تساؤلٍ نقديٍّ لَا مندوحَةَ مِن الإجابةِ عنهُ ألا وهو مَا الرَّابطُ بينَ البيتِ الأوَّلِ الذي صدَّرَ بِهِ الشَّاعرُ تلك المُقطَّعَةَ وبينَ بقيَّةِ المُقطَّعَةِ، وإنَّ للبيتِ الأَوَّلِ مضمُونًا كُلِّيًّا يختَلِفُ اختِلافًا تَامًّا معَ ما انتَظَمَ تحتَهُ مِن أبياتٍ..؟!

والجوابُ عن ذلِكَ: أنَّ البيتَ لَم يَكُن تهنئةً وتمَنِّيًا بِاليُمنِ فِي رِحلَتَي حِلٍّ وترحالٍ قَامَ بِهَما الخَلِيفَةُ مِن مَدِينَةِ سَرَقُسْطَةَ إلَى غَيرِهَا – كما هو ظَاهرُ عِبارتِهِ – بل كَان تَصدِيرًا إجماليًّا لِلَّذي فصَّلَ الشَّاعرُ فيهِ القَولَ فِي تَالِي هَذَا البَيتِ؛ والأبياتُ بِهذا التَّقديرِ تَهنِئةٌ لِلخَلِيفَةِ عَلى تَركِهِ أرضَ معرَكَةٍ بعدَ انتصَارِهِ، إلَى غَيرِهَا مِن أجلِ خَوضِ معركَةٍ أُخرَى يَأمَنُ فيهَا عَلَى جُندِهِ شرَّ القتلِ والسَّلبِ، لِمهابَةِ عدوِهِ لَهُ وخشيتِهِ مِنهُ حتَّى معَ مُجرَّدِ تخيُّلِ مُلاقاتِهِ، وهذا ما أشارَ إليهِ الشَّاعرُ في البيتِ الأخيرِ مِن القِطعةِ : (١)

وإنْ ذهبُوا لِلشَّرِّ فِي الأَرضِ تَرَاءَى لَهُم فِي كُلِّ أُفْقٍ مِثَالُكَا

والتَّفصيلُ بعدَ الإجمالِ سبيلٌ قَديمٌ مُبتكرٌ مَطرُوقٌ لَدَى العَربِيِّ القديمِ، يستهدِفُ مِن خِلالِهِ الرَّبطَ بينَ أعضاءِ النَّصِّ الواحِدِ، وقد بَرعَ الشَّاعرُ المُصحَفيُّ فِي إنزالِهَا علَى هذا النصِّ، وأظفرَ النصَّ بِنظامٍ لُغَويٍّ مُتتابعٍ مَتِينِ النَّسجِ مَكِينِ الاتِّساقِ، حوَّلَ بِهِ دلالَةَ البيتِ الأوَّلِ مِن مفهومٍ مقطوعٍ بهِ إلَى مفهومٍ جديدٍ لم يَكُنِ المُتلقِّي يستطيعُ الوصولَ إليهِ إلَّا بتَتبُّعِ الغرضِ العامِّ للنَّظمِ وذلك بِمواصَلَةِ القراءةِ والتَّأنِّي فِي إصدارِ الحُكمِ، إلى الانتقال مِن تهنئةِ الخليفةِ، أو تَمنِّي اليُمنِ والبَركَةِ لهُ فِي ارتِحالِهِ مِن...، وحِلِّهِ في...، خاضِعٌ لِتصوُّرٍ محدودِ الرُّؤيةِ، إلَّا أنَّهُ هو الأصوبُ والأقربُ إلَى الحُكمِ بِهِ مِن غيرِ ما رَيثٍ ولا أَنَاةٍ، وذلِكَ فَي حالِ الاقتصارِ عَلَى البيتِ الأوَّلِ، ثُمَّ سِرعانَ ما يتغيَّرُ الحُكمُ حالَمَا تَفَصَّلَ لَدَينَا ما أجمِلَ في سِياقِ البَيتِ الأوَّلِ مِن أنَّ تِلكَ التَّهَانِي والتَّمَنِّيَاتِ ليستْ لانتِقالِهِ المُجرَّدِ عَن المَدينَةِ المُسَمَّاةِ سَالِفًا، بل كَانَ لِحَربِ الأعداءِ وتَخويفِهم، وإقرارِ الأمنِ فِي البِلَادِ، فَبَانَ سَببُ الانتِقالِ والتَّرَحُّلِ بينَ مَحلَّةِ ارتِحالِهِ ومَحِلَّةِ حِلِّهِ، ودَليلُ ذلِكَ قَولُهُ :

(١) الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، ص٢١.

تَنقَّلْـتَ عَـن دَارِ الشِّـقَاقِ مُظَفَّـرًا وَقَـد صَـالَ بِالمَخـذُولِ فِيهَـا صِـيَالُكَا

وَجَارَيتَ ذَا السَّيْفِ العَرِيضِ بِمِيتَـةٍ أَرَيتْ مُسْتَجِيشَ الشِّرِكِ كَيفَ اغْتِيالُكَا

وَأَقفَلْـتَ عَـنْهُم وَالمَنَايَـا صَـوائِبُ تَسِـيلُ بِهَـا فِـي سَـاحَتَيهِم سِـجَالُكَا

إِذَا مَـا الكَـرَى رَامَ اغـتِلَاقَ جُفُـونِهِم تَخَطَّفَـــهُ بِـالخَوفِ عَنْـهـا خَيَالُكَـــا

وَإِنْ ذَهَبُوا لِلشَّرِّ فِـي الأَرْضِ مَذْهَبًا تَـراءَى لَهُـم فِـي كُـلِّ أُفْـقٍ مِثَالُكَـــا

وإِلَّا فَمَـا الرَّابطـةُ بَـينَ البَيـتِ الأَوَّلِ ومَـا دَلَّ عَليـهِ ذِكـرُ السَّيفِ، والاغتيـالِ، والمَنَايَا، وَمَسِيلِ الدَّمِ فِي سَاحاتِ الحَربِ، وخَوفِ الأعادِي مِن أَن يَتَخطَّفَهُم تَذكُّرُ الخَلِيفَةِ..؟!

خاتمة

إنّ التّماسكَ النّصّيّ في جميع وسائله الصّوتيّة، والمعجميّة، والتركيبي، والدّلاليّة يعمل على تحقيق الاتّساق والانسجام بين وحدات النّصوص وعناصرها في ضوء علاقاتٍ معيّنةٍ تربط وحدات النّصّ بعضها ببعضٍ؛ ممّا يجعل النّصّ كُلًّا موحدًا لدي المتلقّي، وقد تضافرت جهود الباحثين في وضع نماذج لتحليل النّصوص وتصنيف المعايير النّصّيّة، مع اختيار معايير النصية التي أشار إليها دي بوجراند على النص موضع الدراسة، وهو شعر الحاجب المُصحفي، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- استوعب شعر المصحفي جميع المعايير النصية، مما يدل على عمق نصيته، وتداخل هذه المعايير مع بعضها البعض؛ خدمة للنص الشعري، فقد يسهم أحد المعايير في تحقيق المعيار الآخر كما مرّ في البحث.

٢- تحقَّقَ التماسُك النَّصي في شعر المصحفيّ من خلال التِحامَ أجزاءِ النَّصِّ بَعضِهَا بِبَعضٍ بِواسطَةِ مجموعةٍ مِن الأدواتِ المُعينَةِ عَلَى اتِّساقِ النصِّ وانسجامِ مدلولاتِهِ فِي وِحدَةٍ بِنائيَّةٍ مُتكامِلَةٍ مُتَّحِدَةِ الأجزاءِ، وطيدَةِ الارتباطِ بعضها مع بعض.

٣- أسهمت الوسائل النصية: التركيبي والدلالية والمعجمية في خلق السبك النَّصي، فقد اتكأ عليها المصحفي في شعره، وقد تميز شعره بهذه المستويات منفردةً، أو بورودها مجتمعةً مع بعضها، فقد يلمح المقطع الشعرى يعتمد على مستوى واحد، وقد يلمح- أيضًا- بأنه يتكئ على أكثر من مستوى في موضع واحد.

٤- شغلت الإحالة بالضمير بوصفها آلية من آليات المستوى التركيبي مساحة كبيرة من شعر المصحفي؛ إذ أسهمت الإحالة الضميرية في خلق النص، ووصفه بالاستمرارية النَّصيَّة عبر التفاعل المستمر بين الشاعر والمتلقي.

٤-برز في شعر المصحفي دقة الإحالة بالموصول، ، فقد ضم أنواع الإحالة ، وقد أحسن الشاعر توظيف الإحالة ؛ مما أسهم في استمرارية العطاء النصي، والربط بين أجزائه، ساعده على ذلك اتساع مدلولية التماسك النَّصي.

٥-أظهر البحث جزءا من ثقافة الحاجب المصحفي ، وذلك بالحديث عن التناص الديني والأدبي في شعره ، وأثر ذلك في ربط النصوص بغيرها لشعراء سبقوا المصحفي أو عاصروه .

٦- شكل الاستبدال وسيلة مهمة من وسائل الشاعر المتعددة لربط أواصر النص الشعري، وهوَ ارتباطٌ تَنَاسُجيٌّ لا تظهرُ آثارُهُ فِي بِنيَةِ النَّصِّ إلَّا مِن خلالِ استقراءِ العلاقاتِ الدَّاخليَّةِ للنَّصِّ، النَّاشئةِ عن التَّشكُّلاتِ السَّطحيَّةِ للمكَوِّنِ اللُّغَويِّ، تِلك العلاقاتُ التي تهدفُ إلَى بيانِ فحوَى النَّصِّ والمُرادِ مِن إنشائِهِ، وأكثرُ ما يَكونُ ارتباطُهَا بِمَجمُوعةٍ وافِرَةٍ مِن العَوامِلِ الخَارجيَّةِ، هيَ ما تُشكِّلُ المَفهُومَ العامَّ لِمَضمُونِ النَّصِّ .

٧- يعد الحذف من الظواهر اللغوية البارزة في شعر المصحفي، إذ أمدته وسائله المتعددة بطاقات لغوية متنوعة للنص الشعري؛ أسهمت في تكاتف أجزائه، وخلق الترابط بين بنياته اللغوية ، ومن ثم فقد استعان الشاعر بحذف الحرف، والاسم، والفعل، والعبارة، والجملة؛ مما أسهم في رصف بنية النص اللغوي.

٨- مثل الربط وسيلة مهمة من وسائل التلاحم النصي في شعر المصحفي ، من خلال قيامه بإنعاش الذاكرة؛ لاستعادة المذكور السابق بواسطة أدواته، فهو وسيلة مهمة لتقوية العلاقات بين الجمل، وجعل المتواليات متماسكة مترابطة، وقد ورد في الديوان بأنواعه المختلفة.

٩- أمَّا المصاحبة المعجمية التي عملت على تماسك أجزاء النص وترابطه، وامتازت بدقتها وتنوعها ؛ تبعا لثراء العربية وقدرتها على الاشتقاق اللغوي، وقد حرص الشاعر على الإفادة من تقنياتها؛ فاستخدم علاقة التضاد

والتقابل، والتلاؤم الذكري. وأسهم المستوى المعجمي بوسائله المتنوعة من: تكرار، ومصاحبة معجمية في تماسك النص إذ نسج منه جدائل لغوية، أضفت على الفكرة النصية بيانًا وتوضيحًا.

١٠- اتكأ الشاعر على دور العلاقات الدلالية في ربط أجزاء النص، والعمل على استمرارية الدلالة، وقد اعتمد النص الشعرى عند المصحفي في ترابط قضاياه على مجموعة من العلاقات الدلالية، سواء كانت بواسطة وسائل شكلية أو معنوية، وتلك العلاقات هي الشَّرط؛ إذ جعلَ مِن النصِّ وِحدةً بِنائيَّةً مُتماسِكةً.، و كذلك الإجمال والتفصيل الذي أسهم في منح الشاعر القدرة على عرض قضاياه، وإنَّ لكُلٍّ مِنهَا وَظيفتَهُ المَنوطةَ بهِ في أدَاءِ دَورِها في تماسُكِ عناصرِ الخطابِ، والتِحامِ أجزاءِ النّصِّ بعضِها ببعضٍ، عَلَى الوَجهِ الَّذي أظهرناهُ في الجَانبِ التّطبيقيِّ من البَحثِ كُلًّا فِي مَوضعِهِ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف.

ثالثا: المصادر.

١. أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، عني بتحقيقها الدكتور/ شكري فيصل ، مكتبة دار الملاح ، دمشق ، د.ت.

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمّد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيّان أثير الدّين الأندلسيّ(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدّكتور رجب عثمان محمّد، مراجعة: رمضان عبد التّوَّاب، مكتبة الخانجيّ – القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣. أساليب البديع في القرآن، جعفر باقر الحسيني، مؤسسة أبو ستان، ط ١ ، ١٤٢٩هـ.

٤. البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق / أحمد بدوي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

٥. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي، المعروف بالجاحظ(ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق / مصطفى حجازي ، التراث العربي ، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت .

٧. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران ، لابن أبي الإصبع العدواني المصري (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر: ت–٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، ١٩٩٥م.

٨. الحاجب المُصحفي، حياته وآثاره الأدبية، أ.د: حسين يوسف خربوش، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك ، حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م.
٩. الحاجب المصحفي، حياته وآثاره الأدبيَّة، تتمة واستدراك، تأليف: أ. عبدالعزيز الساوري، (الرباط المغرب)، مجلة محكمة، العدد٢٣، ٢٠٠٠م.
١٠. الخصائص، عثمان بن جني الموصلي(ت٣٩٢هـ) ، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط٤،(د. ت).
١١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٢. ديوان ابن دريد ، دراسة وتحقيق / عمر بن سالم ، ط١ ، ٢٠١٢م ، سلطان العويس.
١٣. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق / محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٢م.
١٤. ديوان البحتري ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه / حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٧م.
١٥. ديوان الصنوبري ، تحقيق / لطفي الصقال ، ودرية الخطيب ، دار الكتاب العربي بحلب ، ط١ ، ١٩٧١م.
١٦. ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ / علي الفاعور ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٧م.
١٧. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، دار الكتب المصرية ، ط١، ١٩٥٧م.

١٨. ديوان جميل ، شعر الحب العذري ، جمع وتحقيق وشرح د. حسين نصّار ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، د.ت.
١٩. ديوان علي بن الجهم ،تحقيق / خليل مردم بك ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٦م.
٢٠. ديوان كشاجم ، تحقيق وشرح وتقديم / خيرية محمد محفوظ ، وزارة الإعلام ، سلسلة كتب التراث ١٧ ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٧٠م.
٢١. ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، دراسة وشرح د. مفيد قميحة ، دار الشواف ، الرياض ، ط١ ، ١٩٨٩م.
٢٢. ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق / عبد الستار أحمد فرّاج ، مكتبة مصر ، د.ت.
٢٣. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن محمّد بهاء الدّين ابن عقيل القرشيّ الهامشيّ(٧٦٩هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار التّراث – القاهرة، دار مصر للطّباعة، سعيد جودة السّحار وشركاه، ط٢٠، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٢٤. شرح الكافية الشّافية، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مالك جمال الدّين الطّائيّ الجيانيّ (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أمّ القرى مركز البحث العلميّ وإحياء التّراث الإسلاميّ كلّيّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة مكّة المكرَّمة، ط١.
٢٥. شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة ١٩٧٩م.
٢٦. شرح قطر النّدى وبل الصّدى، أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف جمال الدّين بن هشام(ت٧٦١هـ) ، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، القاهرة، ط١١، ١٣٨٣هـ.

٢٧. شعر يزيد بن الطثرية ، صنعه/ حاتم صالح الضامن ، مطبعة أسعد ، بغداد ، د.ت.
٢٨. الصحاح: الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ
٢٩. الصّناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجاويّ، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – بيروت، ١٤١٩هـ.
٣٠. طبقات فحول الشعراء ، للجمحي (محمد بن سلّام بن عبيد الله:ت–٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر ، دار المدني – جدة(د–ت).
٣١. عيار الشعر، لابن طباطبا العلوى(محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم:ت–٣٢٢هـ) شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٦– ٢٠٠٥.
٣٢. قواعد الشعر ، لثعلب(أحمد بن يحيى بن زيد (ت ٢٩١هـ) ، تحقيق: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي– القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥.
٣٣. كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، للعسكري (أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل:ت–٣٩٥هـ) ، تحقيق: د. مفيد قميحة ، دار الكتب العالمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.
٣٤. كتاب العين ، للفراهيدي (الخليل بن أحمد:ت–١٧٠هـ) ،تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال– بيروت(د– ت).
٣٥. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.
٣٦. لسان العرب ، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (د.ت)، ، م١٣، دار صادر، بيروت.

٣٧. اللّمع في العربيّة، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ(ت٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة – الكويت.
٣٨. متن شذور الذهب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت٧٦١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
٣٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سِيدة المرسيّ (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٤٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد، المعروف بابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
٤١. مقاييس اللغة ، ابن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق / عبد السلام هارون ، دار الفكر ، طبعة ١٩٧٩م
٤٢. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت،(د. ط)،(د.ت).

رابعًا: المراجع

٤٣. أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة– تأسيس نحو النّصّ، محمّد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، جامعة منوبة – تونس، ط١، ٢٠٠١م.
٤٤. انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي ، د. محيي الدين محسَّب ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط١، ٢٠٠٨.
٤٥. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، ١٩٩٨.

٤٦. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، ط ١، ٢٠١٠ م.
٤٧. التحليل اللغوي للنص- مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر، ترجمة وتعليق: د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار- القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥- ٢٠٠٥.
٤٨. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب: خليل بن ياسر البطاشي ، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣.
٤٩. التماسك النص في الدرس اللغوي ، عيسى جواد مقبل، المؤتمر الدولي الأول في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ج ١، ط ١، ٢٠١٣م.
٥٠. دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ، عبدالفتاح عبدالعليم البركاوي ، دار المنارة، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م
٥١. ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، مقاربة بنيوية تكوينية ، محمد بنيس ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٥م
٥٢. العربية وعلم اللغة الحديث ، داوود محمد ، دار غريب ، القاهرة ، (د ط) ، ٢٠١٠م.
٥٣. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١-٢٠٠٠م.
٥٤. علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ، سعيد حسن بحيري ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية (لونجمان) ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.

٥٥. علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٥٦. علم لغة النص– المفاهيم والاتجاهات ، سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط٢، ١٤٣١– ٢٠١٠.
٥٧. في البلاغة العربية و الأسلوبيات اللسانية– آفاق جديدة ، د. سعد عبد العزيز مصلوح ، مجلس النشر العلمي – الكويت ، ٢٠٠٣.
٥٨. المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي–عربي، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣.
٥٩. مصطلحات النقد العربي السيماوي : الإشكالية والأصول والامتداد، مولاي علي بوخاتم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
٦٠. معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ودور أخرى، ط١، ٢٠١٠.
٦١. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥.
٦٢. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد يونس، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م.
٦٣. مهارات التّعرف على التّرابط في النّصّ، ريما سعد سعادة الجرف، مجلة رسالة الخليج، عدد(٧)، ٢٠٠١م.
٦٤. نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد، ط ١، عالم الكتب الجديد، الأردن، ٢٠١٠م.
٦٥. نحو النصّ (دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة)، عثمان حسين مسلم أبو زنيد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا – الأردن، ٢٠٠٤م.

٦٦. نحو النص– اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د.أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ، ط١، ٢٠٠١.
٦٧. نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزنّاد، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م.
٦٨. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان، لونجمان ، ط١ ١٩٩٧م.
٦٩. نظرية النقد الأدبي الحديث ، د. يوسف نور عوض، دار الأمين– بيروت ، ط١ ،١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

خامسًا: الرسائل العلمية

٧٠. الاتساق في نهج البلاغة دراسة في ضوء لسانيات النص: رائدة كاظم فياض، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد، ٢٠١٣م.
٧١. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص ، دراسة نصية من خلال سورة يوسف ، محمود الهواوشة ، ماجستير ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨م.
٧٢. الإحالة في ضوء لسانيّات النّصّ وعلم التّفسير من خلال تفسير التّحرير والتّنوير: الزّهرة توهامي، رسالة ماجستير، المركز الجامعي أكلي محند اولحاج – البويرة ، قسم اللغة والأدب العربي – الجزائر، ٢٠١١م.
٧٣. الاستبدال في القرآن الكريم، سميرة قاسمي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، قسم اللغة والأدب العربي – الجزائر، ٢٠١٥م.
٧٤. أصول المعايير النّصّية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة – كلية الآداب، ٢٠١٢م.
٧٥. التماسك النصي في سور الحواميم، فائزة ثعبان منسي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية – جامعة المستنصرية، ٢٠١٥م.

سادسا: المجلات والدوريات

٧٦. أثر التكرار في التماسك النصي (مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف)، د. نوال بنت إبراهيم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات و آدبها، العدد(٨)، رجب ١٤٣٣هـ – مايو ٢٠١٢م.

سابعًا: الكتب المترجمة

٧٧. أسس لسانيات النص ، مارغوت هاينمان و فولفغنغ هاينمان ، ترجمة: د. موفق محمد جواد المصلح ، دار الشؤون الثقافية العامة– بغداد ، ٢٠٠٦م.

٧٨. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.

٧٩. مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند و ولفجانج درسلر، د. إلهام أبو غزالة ، وعلي خليل حمد ، الهيأة المصرية للكتاب– مصر ، ط٢، ١٩٩٩.

٨٠. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة ، ط١، ١٤١٨– ١٩٩٨.

٨١. النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، فان دايك ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق – بيروت ٢٠٠٠م.